جامعة آل البيــت

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

قسم التاريخ

العراق في أواخر الخلافة الأموية

(دراسة اقتصادية – اجتماعية)

(100-132هـ/718-750م)

Iraq in the ending of Umayyd caliph
(Economic Study – Social)
(100-132 A.H/718-750A.D)

إعداد الطالب:

حمد فهد حمد العازمي

157030305

إشراف الأستاذ الدكتور

محمد صياح العيسى

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ من كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة آل البيت

الفصل الدراسي الصيفي

2017م

التفويض

أنا الطالب: حمد فهد حمد العازمي؛ أفوض جامعة آل البيت بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

الاسم: حمد فهد حمد العازمي

التوقيع: .....

التاريخ: 9 / 8 / 2017م.

ب

إقرار والتزام

أنا الطالب: حمد فهد حمد العازمي **الرقم الجامعي: 157030305**

التخصص: ماجستير تاريخ. **كلية الآداب والعلوم الإنسانية**

أقرُّ بأنني قد التزمتُ بقوانين جامعة آل البيت وأنظمتها وتعليماتها وقراراتها السارية المفعول، والمتعلقة بإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه، إذ أن قمت شخصيًّا بإعداد رسالتي الموسومة بـــ:

العراق في أواخر الخلافة الأموية
(دراسة اقتصادية – اجتماعية)
(100-132ه/718-750م)
Iraq in the ending of Umayyd caliph
(Economic Study – Social)
(100-132 A.H/718-750A.D)

وذلك بما ينسجم مع الأمانة العلمية المتعارف عليها في كتابة الرسائل والأطاريح العلمية، كما أنني أعلم بأن رسالتي هذه غير منقولة أو مستله من رسائل أو كتب أو أبحاث أو أية منشورات علمية تم نشرها أو تخزينها في أي وسيلة إعلامية، وتأسيساً على ما تقدم، فإنني أتحمل المسؤولية بأنواعها كافة فيما لو تبين غير ذلك، بما فيه حق مجلس العمداء في جامعة آل البيت بإلغاء قرار منحي الدرجة العلمية التي حصلت عليها، وسحب شهادة التخرج مني بعد صدورها، دون أن يكون لي أي حق في التظلم أو الاعتراض أو الطعن بأي صورة كانت في القرار الصادر عن مجلس العمداء بهذا الصدد.

توقيــع الطالب: .....

التـــاريـــخ: 9 / 8 / 2017 م.

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة وعنوانها :

العراق في أواخر الخلافة الأموية

(دراسة اقتصادية – اجتماعية)

(100-132ه /718 -75م)

Iraq in the ending of Umayyd caliph

(Economic Study – Social)

(100-132 A.H/718A.D)

واجيزت بتاريخ : / /2017 م.

إعداد

حمد فهد حمد العازمي

إشراف

أ.د محمد صياح العيسى

أعضاء لجنة المناقشة :		التوقيع
الاستاذ الدكتور . محمد صياح العيسى	مشرفا ورئيسا	.....
الدكتور . انور الخالدي	عضوا	.....
الدكتور. علاء سعادة	عضوا	.....
سلمان سالم الصرايرة	عضوا خارجيا	.....

الإهداء

إلى كل أصدقائي وأقربائي

شكر وتقدير

أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان للأستاذ الدكتور محمد صياح العيسى والذي تكـــرّمَ بالإشراف على هذه الدراسة، وكان لإرشاداته القيّمة وملاحظاته السديدة أثراً في إتمـــام هـــذه الرسالة وإخراجها فله مني كل جزيل الشكر ووافر الامتنان.

كما أتقدم بوافر الشكر وعظيم الامتنان إلى الأساتذة الأكـــارم أعضـــاء لجنـــة المناقشـــة المحترمين لقبولهم مناقشة هذه الرسالة، فلهم مني كل المحبة والاحترام لمات بذلوه في قراءتها ووضع ملاحظاتهم السديدة لإثراء هذه الرسالة، كل من حضرة الدكتور الفاضل علاء ســـعادة وحضرة الدكتور الفاضل أنور الخالدي والمحكم الخارجي حضـــرة الـــدكتور ســـلمان ســـالم الصرايرة.

كما أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى جميع أساتذتي كلية الآداب والعلوم الإنســـانية في "جامعة آل البيت". وأخص بالذكر أساتذتي الكرام في قسم التاريخ.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
التفويض	ب
إقرار والتزام	ج
قرار لجنة المناقشة	د
الإهداء	ه
شكر وتقدير	و
ملخص	ط
الاختصارات المستخدمة	ي
مقدمة	1
دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث	4
تمهيد: العراق في ظل الحكم الأموي في القرن الهجري الأول	8
الفصل الأول: الخلفاء الأمويون في بداية القرن الهجري الثاني	
المبحث الأول: هشام بن عبد الملك 105-125 هـ /724-743م	16
المبحث الثاني: الوليد بن يزيد 125-126ه/743-744م	24
المبحث الثالث: إبراهيم بن الوليد 126ه/744م	32
المبحث الرابع: مروان بن محمد 127-132ه/744-749م	32
المبحث الخامس: الحياة السياسية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني	
أولاً: ثورة زيد بن علي 122ه/740م	42
ثانياً: ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة 102ه/ 720م	48
ثالثاً: ثورة شوذب الخارجي 100ه/718م ص53	54

الفصل الثاني : الحياة الاقتصادية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني	
المبحث الأول: الزراعة	56
المبحث الثاني: التجارة	62
المبحث الثالث: الصناعة والحرف	68
الفصل الثالث : الحياة الاجتماعية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني	
المبحث الأول: العرب	74
المبحث الثاني: الموالي	77
المبحث الثالث: أهل الذمة	87
المبحث الرابع: الرقيق	91
المبحث الخامس: صور أخرى من الحياة الاجتماعية	93
الفصل الرابع : موقف العراق من الثورة العباسية الجديدة	
المبحث الأول: الدعوة العباسية	97
المبحث الثاني: موقف القبائل العربية من الثورة العباسية الجديدة	102
المبحث الثالث: موقف الموالي من الثورة العباسية الجديدة	109
الخاتمة	114
قائمة المصادر	115
Abstract	125

ملخص

كان العراق طوال العهد الأموي يرى في نفسه أن منتقص الحقوق مقابل بـــلاد الشـــام التي استأثر أهلها بكل الامتيازات، فنجد كل الثورات سواء كانت علوية أم خارجيـــة أو حتـــى الثورات التي اتسمت بالطابع الشخصي تخرج من العراق.

إنه منذ أن فتح المسلمون العراق وتم تخطيط مدينتي الكوفة والبصرة أخذ العراق دور الواجهة الأمامية للمشرق بشكل عام، فقد انتشرت أعداد كبيرة من القبائل العربية في العـــراق وأدّت دوراً ريادياً في التعريف بالإسلام ونشره، وفي تعليم اللغة العربية وثقافتهـــا وعلومهـــا، وقام الولاة العرب المسلمون بدور بارز في إعمار البلاد وتطورها الاقتصادي، وكـــان مـــن نتائج هذا العمل أن اضمحلت الثقافات والديانات الفارسية القديمـــة لصـــالح الثقافـــة العربيـــة الإسلامية الجديدة.

ومع مطلع القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي كان تعاقب الخلفاء الضعفاء مقارنةً مع الخلفاء السابقين، وتوالي الثورات العلوية والخارجية وظهور النزعة العصبية فـــي شـــرق الدولة وغربها بالإضافة إلى الصراع اليمني القيسي كل هذه الأمور مجتمعـــة أســـهمت فـــي إضعاف الدولة الأموية ومن ثم سقوطها؛ وعليه تأتي هذه الدراسة لترصد واقع الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العراق في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وأثـــر هـــذه الحالة على سقوط الدولة الأموية.

الكلمات المفتاحية: الدولة الأموية، العراق، الشيعة، الخوارج.

الاختصارات المستخدمة

أشير إلى المصادر والمراجع في الهوامش على النحو الآتي:

ترمز الحروف الآتية إلى ما يلي:

ت	الوفاة
هـ	الهجري
م	الميلادي
ق	القرن
ط	الطبعة
ج	الجزء
ص	الصفحة
د. ط	دون طبعة
د. ت	دون تاريخ نشر
د. ن	دون دار نشر
ع	العدد بالنسبة للدوريات
P.	رقم الصفحة بالانجليزي
vol.	رقم الجزء بالانجليزي

مقدمة:

إن من يدقق في تاريخ العراق في الفترة الأموية سيجد أن الدور الذي لعبه العراق كان مهماً مقارنةً بغيره من الأقاليم الأخرى من العالم الإسلامي، لربما لكونه كان مركزاً رئيسياً لتلك الأحداث وفي حواضره بنيت الأسس الأولى للحضارة الإسلامية، تلك الحضارة التي شارك في بنائها العرب وغير العرب ممن دخلوا الإسلام (الموالي)، فمن هناك انطلقت الجيوش الإسلامية لفتح بلاد الشرق، فحمل العرب الإسلام واللغة العربية إلى تلك الأصقاع، واستفادوا من الأنظمة التي كانت سائدة هناك.

وعندما جاء العرب اندمجوا مع السكان الأصليين من عرب وغير عرب، ونتج عن ذلك نشوء حضارة كان المسلمون روادها، ولكن عندما دخل غير العرب إلى الإسلام شعروا بعدم المساواة مع العرب ووجدوا أن الحقوق التي دخلوا الإسلام من أجلها منقوصة، وهذا ما يفسر لنا كثرة اشتراكهم في كل ثورة كانت تقوم ضد الدولة الأموية كان أغلبها في أرض العراق.

وترتّب على موقف العراق المناهض للسلطة الأموية، وما كان من خلاف حول الخلافة أن افترق المسلمون إلى فرق وأحزاب يكفّر بعضها الآخر ويقاتله، فكان لهذه الحقبة من الحكم أهمية كبيرة، فظهرت الأحزاب المعارضة تعلن معارضتها باللسان حيناً وبالسيف حيناً آخر.

وابتداءً من عهد هشام بن عبد الملك بدأ التحول بصورة كبيرة إلى اقتباس الأنظمة الفارسية خاصةً في الإدارة والاقتصاد لتلائم الأوضاع الجديدة، ووجدت جماعات كثيرة عربية انضمت إلى حركات سرية تستهدف هدم أركان الدولة الأموية، واتسعت هذه الحركات بدءاً من عهد هشام بن عبد الملك الذي استطاع أن يحافظ على الدولة من الانهيار فترة طويلة 105-126هـ/724-743م بعدما كادت الدولة أن تنهار، ولقد رحل والدولة متماسكة من الداخل والخارج ولو ظاهرياً، حيث لم تكن ثورات الخوارج تشكل خطراً على الدولة في

عهده، ولم يكن الشيعة قد ظهروا حتى ذلك الحين إلا في ثورتين هما ثورة الحسين بن علي بن أبي طالب في كربلاء سنة 61 هـ /680م والثانية هي ثورة زيد بن علي بن الحسين سنة 122 هـ /740م، ومن خلال دراسة سيرة ولي عهد هشام فإن أي دارس متمحص سيعرف أن الأمور لن تكون في طريقها الصحيح بالنسبة للدولة الأموية.

ثم إن العراق كان مسرحاً لأحداث خطيرة طوال العهد الأموي ومصدراً رئيساً لموارد بيت المال ومكاناً لامتزاج الثقافات فإن دراسة العراق في هذه الفترة له أهمية كبيرة.

إنني في هذه الدراسة سأتطرق للعراق منذ عهد هشام بن عبد الملك وحتى مروان بن محمد ففي هذه الفترة زخرت المنطقة بالأحداث السياسية والتحولات الإدارية والاقتصادية والاجتماعية، وسألقي الضوء على السياسة الأموية في العراق في الفترة 105-132 هـ /724-750م .

أما بالنسبة للخطة التي سرت عليها في الدراسة فقد تمثلت بتقسيم الدراسة إلى خمسة فصول، الفصل الأول عن الخلفاء الأمويون في بداية القرن الهجري الثاني وهم هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد بن عبد الملك وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك ومروان بن محمد، وتطرقت لكل خليفة وحياته وخلافته، وفي ذات الوقت أبرزت أهم المحطات التاريخية في حياته والتي كان لها أثر في مجرى التاريخ، ثم أضفت مبحثاً آخراً بعنوان الحياة السياسية، فقد كان العراق في هذه الفترة يعيش بحالة مخاض سياسي فدرست الثورات ودورها في إضعاف الدولة الأموية وهي ثورة زيد بن علي وثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وثورة شوذب الخارجي، وكان الفصل الثاني عن الحياة الاقتصادية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني، وفي هذا الفصل درست كل الأنشطة الاقتصادية وهي الصناعة والحرف والتجارة والزراعة وملكية الأرض، ويأتي الفصل الثالث للحديث عن الحياة الاجتماعية في العراق في

نفس الفترة، فتطرقت للعرب والموالي وأهل الذمة والرقيق، وجئت على ذكر بعض الصـــور الاجتماعية، ، وأخيراً الفصل الرابع بعنوان موقف العراق من الثورة العباسية الجديدة، وكـــان بثلاثة محاور أولاً الدعوة العباسية ونشأتها، وثانياً موقف القبائل العربية من الثورة العباســية الجديدة وثالثاً موقف الموالي من الثورة العباسية، أما الخاتمة فقد أوجزت فيها النتـــائج التـــي توصلت إليها الدراسة، كما احتوت الدراسة على قائمـــة بالمصـــادر المطبوعـــة، والمراجـــع والبحوث العربية والأجنبية التي أسهمت في مجموعها في بناء هيكل البحث وما توصل إليـــه من نتائج.

دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث

لأنها العراق أرض التاريخ والحضارة منذ أقدم العصور وحتى عصـــرنا هـــذا فإنهـــا حظيت بمصادر متنوعة، وفي العهد الإسلامي كانت منبع الثورات والحركات المناهضة للدول التي حكمتها، وكانت أيضاً منشأ الديانات والمعتقدات، ولدينا في التاريخ الإســـلامي مصـــادر متنوعة غطت كل هذه الفترات التاريخية، وقد اعتمدت هذه الدراسة على مجموعة مختلفـــة من المصادر التي تشكل مادتها ركناً أساسياً في هذه الدراسة، وسيكون التركيز هنا على قيمـــة كل مصدر من المصادر بمقدار ما يوضح ويصف حالة العراق في القرن الثـــاني الهجـــري/ الثامن الميلادي.

1- كتب التاريخ وهي المصادر الرئيسة والمهمة التي اعتمدت عليها، وأبـــدأ بكتـــاب تـــاريخ الرسل والملوك للإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310 هـــ /922م) إذ يعتبـــر كتابه من المصادر الأصلية لتاريخ الفترة موضوع البحث، لأن الطبري يروي أحداثاً كان معاصراً لها وأخرى وصلت إليه عن طريق الرواية ويتسم تاريخه بالإفاضة فـــي تنـــاول الأحداث، ومن نافلة القول أن بلاد الشام والعراق كانتا المنطقتان الأكثـــر اهتمامـــاً مـــن الطبري وممن تبعه من المؤرخين، وكذلك كتاب مروج الذهب ومعادن الجوهر لعلي بـــن الحسين بن علي المسعودي (ت346 هـــ /957م) فقد تعرض المسعودي في كتابه لأحوال العراق السياسية والاقتصادية، وأخبار المجتمع، وسير الخلفاء، وكتاب أنساب الأشـــراف لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، المتوفى في همذان سنة 281 هـــ /894م، وهو كتابُ تجميع وليس بكتاب تحقيق، وقد أفاد الدراسة في كثير من الفصول، وكتاب الفتوح لأحمـــد بن محمد بن علي بن أعثم الكوفي، وكان هذا الكتاب مصدراً للدراسة خاصة في الفصـــل الأول الذي غطى حياة الخلفاء الأمويين الأقوياء وصراعهم مع الحركات المناهضة للدولة الأموية، وكتاب الأخبار الطوال لأحمد بن داود الدينوري، وهذا الكتاب دخـــل فـــي كـــل

فصول الرسالة وأفادها، وأمدَّنا بأخبار مفصلة عن فتوح العراق، وما وقع بين علي ومعاوية، وأخبار الخوارج، ومقتل الحسين وفتن الأزارقة، وفتنة المختار، وسقوط الأمويين، وأراد بالأخبار الطوال الأحداث البارزة في التاريخ، والتي شغلت من الزمن حيزاً، وكتاب تاريخ خليفة بن خياط، لأبي عمرو خليفة بن خياط بن خليفة، وهو محدث نسابة إخباري توفي سنة (240 هـ /854م)، وهو مصدر ثقة بالنسبة للتاريخ السياسي ويعادل في قيمته كتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري، وهو من أهم مصادر الدراسة.

وأيضاً كتاب تاريخ واسط ل أسلم بن سهل بن أسلم المعروف بابن بخشل (ت292 هـ /905م) وأول كتاب يعنى بالتاريخ الثقافي للمدينة التي يتحدث عنها، تناول المؤلف في كتابه هذا نبذة في بناء مدينة واسط، وذكر خططها، وشيئاً من أخبارها، وأفادنا بدراسة الأنشطة الاقتصادية في هذه المدينة، ومن المصادر كتاب الكامل في التاريخ لمحمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت630 هـ /1232م) وابن الأثير من المصنفين الذين لهم باع طويل في التصنيف التاريخي، وقد جمع منهجه بين التاريخ الحولي والتاريخ الموضوعي، وقد أفاد الدراسة في كل فصولها، وكتاب أخبار الدولة العباسية لمؤلف مجهول متوفى في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وقد كان هذا الكتاب مصدراً مهماً للفصل الخامس الذي تطرق لنشأة الدعوة العباسية وموقف العرب والموالي منها، وكتاب مقاتل الطالبيين لعلي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم أبو الفرج الأصبهاني (ت356 هـ /967م)، ترجم فيه أبو الفرج لنيف ومائتين من شهداء الطالبيين، منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الوقت الذي شرع فيه بتأليف كتابه، وهو سنة (313هـ/925م) سواء أكان المترجم له قتيل حرب أو صريع سم، أو كان هلكه في سجن أو هارباً من سلطان، ورتب كتابه على السياق الزمني، واقتصر على من كان نقي السيرة قويم المذهب، وقد اعتمدنا عليه في الفصل الرابع المتعلق بالثورات والحركات في مطلع القرن

الثاني الهجري، وكتاب تاريخ مختصر الدول لغريغوريوس بن أهرون بن توما الملطي (ت685 هـ /1286م)، وهو مؤرخ سرياني مستعرب، من نصارى اليعاقبة، وقد كان مصدراً هاماً عن فئات المجتمع غير المسلمة.

2 – كتب الأدب وأهمها كتاب نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب لأبي العباس أحمد بن علي المعروف بالقلقشندي (ت821 هـ /1418م) نشأ وناب في الحكم وتوفي في القاهرة، وهو من دار علم، وفي أبنائه وأجداده علماء أجلاء، وهذا الكتاب عُني بالقبائل العربية وأنسابها، وهو المصدر الذي اعتمدنا عليه حين تطرقنا للحياة الاجتماعية، وكتاب المعارف لعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت276 هـ /889م)، وهو كتاب في أخبار الأعلام والأعيان، والرسل والأنبياء، والصحابة والتابعين، والخلفاء والملوك، عجمها وعربها، ومن خرج عليها من العامة الأشراف، وطبقات الفقهاء والقراء والمحدثين، والأدباء والشعراء والمعلمين، وأهل الصناعات وأصحاب العاهات، والطوائف والفرق، وكتاب نثر الدر في المحاضرات لمنصور بن الحسين الرازي (ت421 هـ /1030م)، وفيه معلومات فريدة عن تاريخ العراق الأموي، صاغها المؤلف بشكل أدبي راقي، وكتاب الفخري في الآداب السلطانية لابن الطقطقي (ت709 هـ /1309م) ومع أنه يصنّف عن الباحثين أنه من ضمن كتب السياسة الشرعية إلا أنه ضم بين جنباته مادة أدبية غزيرة أفدت منها في هذه الأطروحة، وكتاب العقد الفريد لأحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328 هـ /940م) ومع أن الكتاب ألف في قرطبة إلا أنه راج في الشرق، وكان مصدراً تاريخياً وأدبياً مهماً لهذه الأطروحة.

3 – كتب السير والتراجم حيث استقيت معلومات لترجمة الشخصيات ومن أبرزها كتاب وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأحمد بن محمد بن خلكان (ت681 هـ /1282م) وهو من كتب التراجم المهمة وأفرد فيه صاحبه حيزاً كبيراً للأعلام في الدولة الأموية،

وتعد تلك التراجم من أوسع التراجم وأكثرها فائدة بين الكتب التي ترجمت لهؤلاء، وكتاب الوافي بالوفيات لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت764 هـ /1363م) من أجل مؤلفات الصلاح الصفدي، وأوفى الكتب المؤلفة في الإسلام في تراجم الرجال، وضعه الصفدي في ثلاثين مجلداً، وكتاب فوات الوفيات لمحمد بن شاكر بن أحمد (ت764 هـ /1363م) وهو كتاب مستدرك على كتاب ابن خلكان وفيات الأعيان المذكور آنفاً، ويمتاز بالاعتماد على مؤلفات معاصريه من مؤلفي الموسوعات.

4- كتب المعاجم الجغرافية مثل كتاب معجم البلدان لياقوت الحموي (ت626هـ/1229م) ويعتبر كتاب معجم البلدان كتاب جغرافي تعرض فيه المؤلف لبيان الأقاليم الجغرافية وما تحتوي عليه من مدن، كما أنه ذكر فيه كثيراً من الجوانب الاقتصادية والاجتماعية للعراق في فترة الدراسة، وقد أفادت الدراسة منه في التعريف بالمدن وتحديد مواقعها، وكتاب المسالك والممالك لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة (ت280 هـ /893م) ومع أن الكتاب من الكتب الجغرافية البحتة إلا أنه تطرق لسواد العراق وتقسيمات الأرض ونوع الخراج فيه وتاريخه، كما ويتعرض إلى القدماء من الملوك والسلاطين، وقد كان رديفاً لمعجم البلدان في هذه الدراسة.

5- كتب المعاجم اللغوية مثل كتاب لسان العرب لمحمد بن مكرم المعروف بابن منظور (ت711 هـ /1311م) وكتاب القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب للفيروز آبادي (ت817 هـ /1414م) وكتاب تاج العروس لمحمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت1205 هـ /1790م) وكتاب المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى وآخرون وهو من الكتب الحديثة.

6- المراجع الحديثة وفي هذه الأطروحة اعتمدنا على مراجع حديثة متعددة، ومن أهم من يذكر في هذا الموضوع عبد العزيز الدوري الذي اختص بالتاريخ الإسلامي وخاصة في الفترتين صدر الإسلام والفترة العباسية، ومن أهم كتبه التي اعتمدنا عليها مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، وتاريخ العراق الاقتصادي، وتاريخ العصر العباسي الأول.

تمهيد

العراق في ظل الحكم الأموي في القرن الهجري الأول

لمحة تاريخية:

حينما قدم العرب المسلمين فاتحين كانوا قد ورثوا العراق وهو يمر بمرحلة صعبة نسبياً، فعمل الوالي سعد بن أبي وقاص على إشاعة الأمن والاستقرار باعتبارها الركيزة الأولى للازدهار، فقام بتأمين الفلاحين الذين كان أغلبهم من أصول سامية، ونظّم الإدارة كذلك الأمر، وأبقى على الدهاقين ليستمروا في عملهم القديم زمن الساسانيين وهو إدارة الزراعة وجباية الضرائب وتقديرها[1]، ثم اختار موقع مدينة الكوفة ليكون دار هجرة للمسلمين ومقاماً لهم، ومقرّاً للإدارة سنة 17 هـ /638م[2]، ومن قبلها كانت البصرة قد اختطّت سنة 14 هـ /635م، واشترط عمر بن الخطاب شروطاً محددة لإقامة الأمصار منها أن تكون على طرف الصحراء لا يفصل بينها ماء وأن يكون مناخها جافاً ملائماً للعرب[3].

وكان أول أبنيتها دار الإمارة والمسجد الجامع ومساكن المقاتلة العرب الذين ينتظمون على أسس قبلية، فلكل قبيلة خطة أو أكثر وفيها مجموعة من السكك، ولكل فرد من الأفراد عطاء مخصص يستلمه من الدولة كل شخص حسب حالته، فإن من شأن هذه الإجراءات أن تثبت الاستقرار في العراق، وتوثق ارتباطهم بالدولة واخلاصهم بالإسلام، ويظهر أن العرب

---

(1) العلي، صالح أحمد، امتداد العرب في صدر الإسلام، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1981 ص17.

(2) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ /922م)، تاريخ الرسل والملوك، ج4، ط2، دار التراث، بيروت 1977 ص202 ص40.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص590.

امتلكوا بمرور الزمن أراض وأملاك حول الأمصار وفي الريف العراقي كذلك، حيث كان لبعض زعماء القبائل قطائع وأملاك حول المدن والبلدات العراقية[1].

وقد أدركت الإدارة الإسلامية في العراق أن مقتضيات الأمن والاستقرار تتطلب إقامة حاميات دائمة أو مؤقتة في المدن والمراكز العراقية الرئيسية ومنها المدائن " طيسفون"[2] والأنبار[3] والراذان[4] وبغدان وكسكر[5] وجلولاء[6] وتكريت[7] وغيرها حيث كان في كل منها مسلحة أو رابطة.

إن تأسيس الأمصار في العراق كان من الاجراءات الأولى المهمة لنشر الإسلام والعروبة في هذا الإقليم، فالبصرة أسّست ملاصقة لمركز حضاري قديم هو الأبلّة، وكذلك الكوفة التي كانت قريبة من الحيرة، فكانتا مركزاً للنشاط الثقافي والاجتماعي والاقتصادي حيث سادت فيهما اللغة العربية والتقاليد العروبية الموافقة لتعاليم الإسلام، ولم يكن الغرض

---

(1) الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626 هـ /1229م) معجم البلدان، ج1، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1979 ص544.

(2) طيسفون هي مدينة كسرى التي فيها الإيوان، بينها وبين بغداد ثلاثة فراسخ. الحموي معجم البلدان، ج4، ص55.

(3) الأنبار مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، وكانت الفرس تسميها فيروز سابور. الحموي معجم البلدان، ج1، ص257.

(4) راذان الأسفل وراذان الأعلى: كورتان بسواد بغداد تشتمل على قرى كثيرة. الحموي معجم البلدان، ج3، ص12.

(5) كسكر كورة من الجانب الشرقي في آخر سقي النهروان إلى أن تصب دجلة في البحر كله. الحموي معجم البلدان، ج4، ص461.

(6) جلولاء طسوج من طساسيج السواد في طريق خراسان، بينها وبين خانقين سبعة فراسخ، وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة 16ه/. الحموي معجم البلدان، ج2، ص156.

(7) تكريت بلدة مشهورة بين بغداد والموصل، وهي إلى بغداد أقرب، بينها وبين بغداد ثلاثون فرسخاً، ولها قلعة حصينة في طرفها الأعلى راكبة على دجلة، وهي غربي دجلة. الحموي معجم البلدان، ج2، ص38.

من بناء الجامع دينياً فقط، بل كان أهداف أخرى أيضاً ثقافية وسياسية لتعليم السلطة، وقضائية للنظر في الشكاوى المقدمة من الناس، وكان الجامع أيضاً مركزاً لتجمع المقاتلة واستلام عطاءاتهم أو ارسالهم في البعوث، ولم يكن الهدف المنشود من تأسيس البصرة والكوفة أن تكونا معسكراً للمقاتلة فقط، بل مركزاً حضارياً يألف فيه العرب حياة الحضر والاستقرار ويسهموا في تطورها، والأهم من ذلك كله نشر الإسلام فقد توافد إليها الأعاجم كما تشير بذلك المصادر التاريخية[1]، منهم حمراء الديلم والسيابجة، منهم من ير الانضمام للجيش ومنهم من يريد العمل، وقد احتوت الكوفة والبصرة ذات الصبغة العربية الإسلامية هذه الفئات وأعطتها بمرور الزمن بالصبغة العربية الإسلامية[2].

وكانت هناك عومل أخرى تساعد عملية الأسلمة والتعريب في العراق، فقد شاعت اللغة العربية لغة القرآن الكريم، وأصبحت في عهد الأمويين لغة الإدارة والسجلات، وكانت لغة السلطة ولغة الأدب والشعر والفكر والحضارة وهي أيضاً بالدرجة الأولى لغة الناس التي يتخاطبون بها فيما بينهم، وكانت الإدارة الأموية في العراق تحرص على أن تكون تعاليم الإسلام الرابطة الوثيقة بين العرب وغير العرب في الأمصار، وقد حرص الخليفة عمر بن الخطاب بعد فتح العراق على تعزيز الإسلام في الأمصار منذ بداية نشوئها[3]، فحرص على أن يكون والي العراق إماماً للناس في صلاتهم، وشجّع على قراءة القرآن وتفسيره، فنشطت الدراسات الإسلامية حول القرآن والحديث والتفسير واللغة العربية التي كانت المعبّر الوحيد

---

(1) العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، دار الطليعة، بيروت 1962 ص112-116-164.

(2) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279 هـ /892م) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1988 ص313.

(3) العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، دار الطليعة، بيروت 1962 ص112-116-164.

عن الفكر، وبهذا كانت قد تلازمت عقيدة الإسلام واللغة العربية، فكانتا عاملاً في انتشار الإسلام بين السكان الأصليين في العراق وخاصة الذين اختلطوا مع العرب في الأمصار وغدوا مع القبائل التي تحالفوا معها، وسجّل البعض الآخر في شرف العطاء وذلك لكسبهم إلى الإسلام وتوثيق صلتهم بالدولة الإسلامية[1]، وهذا الإجراء عزّز الإسلام في نفوسهم وسارع في انتشاره بين السكان الأصليين خاصة وأن الدخول في الإسلام كان يسقط عنهم ما يسمى بالجزية.

لما جاء الأمويون رسموا لأنفسهم خطة خاصة بأهل العراق، فقد نظروا إليهم على أنهم أعداء يجب معاقبتهم والإنقاص من أعطياتهم، وحرمانهم من الكثير من الامتيازات التي كان يتمتع بها أهل الشام، وإقامة حكومة حربية[2]، وقد خرج عن هذه القاعدة بعض الخلفاء الذين حاولوا مداراة العراقيين وتحقيق رغباتهم، لعلهم بذلك يتقون شرهم، وبعضهم كان يعمل هذا متأثّراً بالمثل الإسلامية العليا التي تهدف إلى مراعاة مصالح الناس، مثل الخليفة عمر بن عبد العزيز، فمعاوية الأول اعتبر أهل العراق أعداءً له، حاربوه وأيّدوا خصمه علي بن أبي طالب، حتى بعد أن تنازل له الحسن بن علي عن الخلافة واجتمع المسلمون على معاوية، فكان العراقي يقول لمعاوية: " والله يا معاوية! إني لأبايعك، وإني لكاره لك، فيقول: بايع، فإن الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً، ويأبى الآخر فيقول: أعوذ بالله من شر نفسك "[3]، هذا التصريح من جانب العراقيين جعل معاوية لا يأمن لهم البتة، وأن عليه من الواجب أن يكون ولاته أكثر حذراً ويقظة، وأن معاوية قال للمغيرة: "تركت العمل، وأخللت بالمصر وأهل

(1) العلي، امتداد العرب في صدر الإسلام، ص27.

(2) فلهاوزن، الدولة العربية وسقوطها، ص52.

(3) اليعقوبي، أحمد بن اسحق(ت292 هـ /905م) تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت 1970 ص195.

العراق وهم أسرع شيء إلى الفتن"[1]، وكان من نتيجة هذا أن اشتد في معاملتهم، وعاقب زعمائهم فقتل حجر بن عدي الكندي[2]، ونفى المغيرة بن شعبة[3]، وأجبر أهل الكوفة على محاربة الخوارج فخرجوا خوفاً منه بعد أن عجز جند أهل الشام عن إبعاد خطرهم.

وفي عهد يزيد بن معاوية اضطر إلى أن يتخذ الموقف نفسه فعزل النعمان بن بشير الأنصاري عن الكوفة وأضافها إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة[4]، لما عرف عنه من شدة إخلاصه وحرصه على الدولة الأموية، وكان أكبر ما عمله هو قتل الحسين بن علي بن أبي طالب في موقعة كربلاء[5]، فكان لهذه المأساة أثرها العميق في نفوس العراقيين، فوسّعت الفجوة بين الشيعة وبين خلفاء بني أمية، ولم يعد هناك أمل للتقارب في قادم الأيام.

ثم توفي يزيد بن معاوية وولي الخلافة معاوية الثاني الذي تنازل عنها، ثم حصل نزاع في البيت الأموي كان من نتائجه أن تولى مروان بن الحكم الخلافة، في وقت كان عبد الله بن الزبير قد دانت له الكثير من الأمصار الإسلامية مثل العراق والحجاز واليمن وقسم كبير من أهل الشام، فلم يكن لمروان أي سلطان على العراق، إلا أن العراقيين تعاونوا مع عبد الملك وساعدوه في القضاء على مصعب بن الزبير أمير العراق من قبل أخيه عبد الله[6].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص196.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص253.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص234.

(4) ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630 هـ /1233م) الكامل في التاريخ، ط1، ج3، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1997 ص127.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص157.

(6) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279 هـ /892م) أنساب الأشراف، ط1، ج5، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996 ص340.

وكان هذا التصرف من العراقيين ليس محبّةً لعبد الملك بن مروان، وإنما كرهاً لمصعب الزبير الذي قتل عدداً كبيراً من أهل الكوفة ممن كانوا مع المختار بن عبيد الثقفي[1]، وعرف عن عبد الملك بن مروان أنه كان من أحزم خلفاء بني أمية وأحسنهم سياسة، وإدراكاً لصالح الخلافة الأموية، فأولى العراق جل اهتمامه واحتاط لأمره فولّى عليه والياً عرف بإخلاصه الشديد للدولة الأموية، ألا وهو الحجاج بن يوسف الثقفي، فقد أوصاه عبد الملك بن مروان أن يطأ الكوفة وطأةً يتضاءل لها أهل العراق، وأطلق يد الحجاج في العراق والشرق كله، وكان يريد من الحجاج أن يكون كيّساً ماهراً يأتلف به المختلفون لا أن يختلف عليه المؤتلفون[2]، وحاول أن يتجنب كل ما من شأنه أن يثير الحروب والفتن، فإذا ما أثارها أهل العراق فإنه لا يدّخر جهداً أو وسعاً في سبيل القضاء عليها، ومعاقبة مثيريها بكل قسوة، قال في إحدى خطبه: " إن أهل العراق استعجلوا قدري قبل انقضاء أجلي، اللهم لا تسلطنا على ما هو خير منا، ولا تسلط علينا من نحن خير منه، اللهم سلّط سيف أهل الشام على أهل العراق، حتى يبلغ رضاك فإذا بلغه فلا تجاوز به سخطك"[3]، ويظهر من قوله هذا حبه للعدل في معاقبة الثائرين عليه، وأن لا يأخذ الولي بالمولى والمقيم بالضال، كما كان يقسو على الحجاج في رسائله، ويرجع سبب ثورات العراق إلى سوء إدارته، فقد كتب إليه في إحدى رسائله خلال ثورة عبد الرحمن بن الأشعث :" بضعفك قوي، وبخرقك طلع"[4]، إلا أنه وافقه على سياسته في إبقاء الجزية على أهل السواد بالرغم من إسلامهم.

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص340.

(2) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328 هـ /940م) العقد الفريد، ط1، ج4، دار الكتب العلمية، بيروت 1984 ص289.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص260.

(4) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج4، ص289.

وطبقت هذه السياسة في خلافة الوليد بن عبد الملك الذي أبقى الحجاج على العراق مؤيداً له سلوكه، أما سليمان بن عبد الملك فإنه لم يكن راضياً عن الحجاج ولم يكن يرى فيه الشخص المناسب لحكم العراق، وتوفي الحجاج قبل خلافة سليمان[1]، وحاول الأخير أن يتودّد إلى العراقيين ويحسن معاملتهم وأن يتراضى مع العلويين[2]، ولكن خلافته لم تطل، وتولى بعده الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي انتهج سياسة جديدة اختلفت كل الاختلاف عن سياسة من سبقوه، فكان عادلاً راعياً لمصالح الناس، يكفل لكل ذي حق حقه، وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن: " سلام عليك ، أما بعد ، فإن أهل الكوفة قد أصابهم بلاء وشدة وجور في أحكام ، وسنن خبيثة سنتها عليهم عمال السوء ، وإن أقوم الدين العدل والإحسان ، فلا يكونن شيء أهم إليك من نفسك أن توطنها لطاعة الله ، فإنه لا قليل من الإثم ، وأمرتك أن تطرز عليهم أرضهم ، وأن لا تحمل خرابا على عامر ، ولا عامرا على خراب ، ولا تأخذ من الخراب إلا ما يطيق ، ولا من العامر إلا وظيفة الخراج ، في رفق وتسكين لأهل الأرض ، وأمرتك أن لا تأخذ في الخراج إلا وزن سبعة ، ليس لها آس ، ولا أجور الضرابين ، ولا إذابة الفضة ، ولا هدية النيروز والمهرجان ، ولا ثمن المصحف ، ولا أجور البيوت ، ولا دراهم النكاح – قال عبد الرحمن : أو قال النكاح – ، ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض ، فاتبع في ذلك أمري ....." [3]، كما حاول هذا الخليفة بما عرف عنه من عدل أن يقضي على الكراهية التي في نفوس أهل الأمصار، فساعد

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص58.

(2) فلهاوزن، يوليوس، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005 ص211.

(3) ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت224 هـ /839م) الأموال، ط1، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت 1990 ص57-58.

المرضى ولم يقصر ذلك على أهل الشام كما فعل الوليد[1]، وقرّب العلويين وعطف عليهم، وكاد أن ينجح مع الخوارج لولا أن عاجلته المنية.

إذن كان عمر بن عبد العزيز هو الخليفة الوحيد من خلفاء بني أمية الذي سار على سياسة مناقضة لسياسة من سبقوه من الخلفاء، كما أن من أتى بعده لم يتّبع هذه السياسة، بل خالفها ورجع لسياسة عبد الملك بن مروان الحجاج إزاء أهل العراق.

(1) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ص241.

الفصل الأول

الخلفاء الأمويون في بداية القرن الهجري الثاني

في هذا الفصل سنتطرق لكل خليفة وحياته وخلافته، وفي ذات الوقت نبرز أهم المحطات التاريخية في حياته والتي كان لها أثر في مجرى التاريخ، ونبدأ بهشام بن عبد الملك.

المبحث الأول: هشام بن عبد الملك 105-125 هـ /724-743م

استخلف هشام وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وأمه عائشة بنت هشام من بني مخزوم، وليس لدينا في المصادر ذكر عن أي دور لهشام قبل أن يلي الخلافة، فقط يذكر الطبري أنه كان يأخذ العطاء ولا يغزو، ولم يكن أحد من بني مروان يأخذه إلا كان عليه الغزو، فكان هشام يبعث مولاه مقابل مائتي دينار، ويبقى لهشام دينار واحد[1]، وكان هشام مولعاً بالزراعة وجمع الأموال والميل إلى الأبهة والفخامة، ففي زمنه كانت مواكبه على مستوى عالي من الفخامة، وفي أيامه ما كان أحد يسير في موكب إلا مسلمة بن عبد الملك[2]، وكانت تضرب له السرادق من حبرات اليمن مزررة بالذهب والفضة، يفرش فسطاطه الخاص بالخز الأحمر ومثلها مرافقها، وعليه دراعة خز أحمر، وعمامة مثلها، ومن وراء فسطاطه، سرادق نسائه وبنيه وحشمه[3]، ويضيف المسعودي عنه بقوله: "وكان هشام أحول خشنا فظاً غليظاً، يجمع

---

(1) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ /922م)، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ط2، دار التراث، بيروت 1977 ص202.

(2) ابن قتيبة، أحمد بن عبد الله بن مسلم (ت322 هـ /934م)الإمامة والسياسة، ج2، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر 1969 ص105.

(3) المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1988 217.

الأموال، ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبة فاجتمع له فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك في جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس، وقد ذكرت الشعراء ما اجتمع له من الخيل، واستجاد الكسي والفرش، وعدد الحرب ولأمتها واصطنع الرجال، وقوى الثغور، واتخذ القني والبرك بطريق مكة[1].

ومن الناحية الإدارية أظهر هشام كفاءةً بشهادة المنصور وعبد الله بن علي الذي قال عنه: "جمعت دواوين بني مروان، فلم أر ديواناً أصح ولا أصلح للعامة من والسلطان من ديوان هشام[2]، ويبدو أن هشام كان دائم التمحيص لدواوينه وإلا لما وصفت بهذه الصورة.

وقد أقطع هشام الضيعة التي تدعى دورين فأرسل في قبضها فإذا هي خراب، فقال لذويد وهو كاتب كان بالشام: ما الحيلة؟ قال: ما تجعل لي؟ قال: أربعمائة دينار. قال: فكتب ذويد: وقرأها. ثم أمضاها في الدواوين فاتسعت الضيعة وفشت، فلما ولي هشام الخلافة دخل عليه دويد كالمتقرب بما كان فعل، فلما وقعت عين هشام عليه قال: وقراها، لا يلي لي والله ولاية أبدا، فأخرجه من الشام[3]، وذكر عن هشام أنه كان منطوياً على نفسه، لا يستقبل الناس إلا قليلاً، وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه الإمامة والسياسة أن كان يبرز في السنة ستين يوماً يسمح بها للدخول عليه من جميع فئات الناس، ويكاد يرفض استقبال الناس في غير هذه الأيام ولا سيما في شهر رمضان[4].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص202–203. المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص228.

(2) التلمحري، التاريخ المنحول، ص50.

(3) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279 هـ /892م) أنساب الأشراف، ط1، ج8، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996 ص376.

(4) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص105.

وقد كانت شخصية هشام محط اختلاف بين المؤرخين فهذا ابن قتيبة يقول : " كان الناس في دعة وسكون وراحة، ووصف هذه الدعة والسكون لعدم خروج خارج عليه، ولم يقم عليه إلا ما كان من زيد بن علي[1]، أما اليعقوبي فيقول: " وكان هشام من أحزم بني أمية وأرجلهم وكان بخيلاً، حسوداً، فظاً، غليظاً، ظلوماً، شديد القسوة، بعيد الرحمة، طويل اللسان، وفشا الطاعون في أيامه حتى هلك عامة الناس وذهبت الدواب والبقر، وكان الغالب عليه الأبرش ابن الوليد الكلبي[2]، ويقول المسعودي : " ولم ير زمان أصعب من زمانه"[3]، ولعل ذلك راجع إلى حدوث الطاعون سنة 107 هـ /725م فهلك عامة الدواب وذهبت الدواب والبقر[4].

وبالرغم من أن هشاماً كان موصوفاً بالكفاءة الإدارية في إدارة الدولة وأنه تمكن من جمع الأموال، إلا أنه بنظر البعض يعتبر شؤماً، فعندما سمع عبد الملك أن امرأته ولدت له غلاماً أسمته هشام، ذكر أنه سمع حديثاً ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " راحة أصحابي معاوية، ولا راحة لهم بعد معاوية، وراحة العرب هشام ولا راحة لهم بعد هشام"[5].

إن من أهم ما يؤخذ على هشام أنه ترك دمشق، وانكفأ في الرصافة لا يستقبل الناس إلا لفترة محدودة، مما جعل الكثير من الأخبار لا تصل إليه، وهو قابع في الرصافة بين حاشيته وخدمه.

ولا بد من أن نتطرق في عهد هشام لفرقة القدرية، وتنطلق هذه الفرقة من فكرة مفادها أن الإنسان هو الذي يخلق أفعاله، وليس أحد غيره، ولما كان بنو أمية ينادون بمبدأ الجبرية، والتي تتمثل بأن الله هو الذي يخلق الأفعال وليس الناس، فإن ذلك سيؤدي لرفض الأمويين

(1) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص106.
(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص7.
(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص217.
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص7.
(5) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص105.

لمبادئ القدرية[1]، وعليه فقد قام هشام بقتل غيلان الدمشقي[2] صاحب هذه الفكرة، المدعوة بالقدرية، وقام بنفي الآخرين من أتباعه ومعظمهم من الشام، إذ نفاهم إلى جزيرة دهلك[3] في البحر الأحمر، ولما تسلّم الوليد بن يزيد الخلافة كلّمه البعض بشأنهم فرفض إعادتهم[4]، ويبد أن القدرية بدأت تأخذ طريقها في عهد هشام بين صفوف الجند، ويظهر ذلك من خلال رسالة بعث به أحد قادة الجيش لهشام[5].

ونشير أيضاً لولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق، فما أن تسلم هشام الخلافة حتى عزل عمر بن هبيرة عن العراق، وولّى خالد بن عبد الله القسري، وما كان إليه من عمل المشرق، وذلك سنة 105 هـ /723م وذلك في محاولة منه لمكافأة خالد على إشارته على هشام بعدم التنازل عن ولاية العهد لصالح الوليد بن يزيد[6].

ولقد استمر خالد في العراق ما يقرب من خمسة عشر عاماً لم يحدث أن حصل شيء يعكّر الصفو، بل إن خالد القسري قد أحيا في العراق نشاطاً زراعياً واسعاً، سواء أكان ذلك للوالي أم للخليفة مما جعل بعض المصادر تشير إلى الصراع الذي حدث بين الاثنين من أجل

---

(1) أبو زهرة، محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة 1990 ص124.

(2) غيلان بن مسلم الدمشقي، " الغيلانية " من القدرية. وهو ثاني من تكلم في القدر ودعا إليه، لم يسبقه سوى معبد الجهني، قيل إنه تاب عن القول بالقدر، على يد عمر ابن عبد العزيز، فلما مات عمر جاهر بمذهبه، فطلبه هشام بن عبد الملك، وأحضر الأوزاعي لمناظرته، فأفتى الأوزاعي بقتله، فصلب على باب كيسان بدمشق سنة (105هـ/723م). العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852 هـ /1448م) لسان الميزان، ط2، ج4، تحقيق دائرة المعرف النظامية (الهند)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، 1971 ص424.

(3) دهلك ويقال له دهيك أيضاً: وهي جزيرة في بحر اليمن، وهو مرسى بين بلاد اليمن والحبشة، بلدة ضيقة حرجة حارة كان بنو أمية إذا سخطوا على أحد نفوه إليها . الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626 هـ /1229م) معجم البلدان، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1979 ص492.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص203.

(5) العطاء الجزيل، ص24.

(6) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص59.

تسويق منتجاتهم، عند بدء الموسم وقبل تسويق إنتاج المواطنين، ويورد البلاذري أن غلّة ابن خالد القسري بلغت حوالي عشرة ملايين درهم، وأورد أيضاً أن هشام ين عبد الملك كتب إلى خالد ألا يبيع من الغلات شيء حتى تباع غلة ولد أمير المؤمنين، ولعل هذا يدل في جانب على التنافس بين أبناء الخليفة وبين أبناء خالد القسري في سرعة تسويق منتجاتهم[1]، وضجّ الناس من ذلك فخطب خالد في الناس فقال: يزعمون أني أغلي أسعاركم، فعلى من يغليها لعنة الله[2]، في إشارة منه إلى أن الذي أمر بعدم بيع غلال الناس هو الخليفة وليس الوالي.

ومن أبرز الملاحظات على القسري أنه بنى كنيسة لأمه النصرانية، وأنفق على أقاربه وأصحابه الأموال الكثيرة، فلما بلغ ذلك هشام قال: " إني أبخل بهذا المال على نفسي وأهلي وولدي وخالد يفرقه في قومه[3]، ويذكر ابن خياط أن خالد القسري ولّى أربعة من بجيلة على مناطق إدارية تابعة للكوفة، وآخر على البحرين، وبجيلة هي قبيلة خالد القسري، ويذكر أنه كان يميل إلى اليمانية وأنه كان يسكت عن الإشاعات التي كانوا يتناقلونها عن مصير الأمر إليهم، وقد حذّر الشاعر الكميت الخليفة هشام من هذه الإشاعة وخطورتها، مذكّراً الخليفة بما ادّعاه ابن الأشعث لنفسه، ومن بعده المهلب بن أبي صفرة، وأن خالد القسري أطمع نفسه في ذلك فيقول:

أنوّاماً يقول بني لؤي ... عن الأمر المرشح ذي البزول

أرى أمراً سيعظم أصغراه ... لتم لقاح مبسقة حفول

فدخل مسلمة بن هشام على أبيه فلم يفارقه حتى عزل خالداً[4].

---

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص95-100.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص154.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج6، ص414.

(4) ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت240 هـ /854م) تاريخ خليفة بن خياط، ط2، ج2، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق 1977 ص374-375.

ويذكر اليعقوبي أن هشاماً لما أراد عزل خالد عن العراق أحضر حسان النبطي، وهـدّده بالقتل إن لم يصدقه عن خالد، فأتاه حسان بصناديق وقائع خالد ووضعها بين يديه، وبذلك قيل عن حسان أنه أول كاتب رفع على عامل بلده، وهذا يدل أن أصحاب الأخبار كانوا منتشـرين حول خالد القسري، وعلى رأسهم حسان النبطي مولى هشام، ولقد كان هشـام يعـرف هـذه الأخبار قبل تهديده لحسان، ولكنه أراد أن يبعد حسان عن صفة التهمة بنقـل الأخبـار إلـى الخليفة، فهو لم يكتف بأوراق حسان، بل وجّه عثمان بن حيّان إلى العراق، للتأكد مـن سـيرة خالد فقدم عليه فأخبره، فبادر إلى عزل خالد في الحال[1].

وفي عهد هشام لا يمكننا تخطي أعظم الأحداث التاريخيـة فـي بدايـة القـرن الثـاني الهجري/ الثامن الميلادي، وهو ثورة زيد بن علي، فالمسعودي لم يذكر السبب الذي قـدم بـه زيد على هشام بالرصافة، ولما دخل عليه لم يوسع له هشام بالمجلس، فحدثت مشادة كلاميـة بين زيد وهشام، فقال له هشام: اسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافـة وأنـت ابن أمه، فخرج من عنده غاضباً وتوجّه إلى الكوفة فانضمّ إليه القـرّاء والأشـراف[2]، أمـا اليعقوبي فإنه جاء بتفصيل أدق بين فيه أن هشام هو الذي استدعى زيد لسؤاله عن 600 ألـف درهم أودعها خالد القسري عنده، فقال زيد: ما لخالد عندي شيء، فأرسله هشام إلى يوسف بن عمر والي العراق ليجمع بينه وبين خالد، وكتب هشام إلى خالد يحذّره من زيد، ومن براعتـه في الحديث، وإسراع أهل العراق إليه، فلما قابل يوسف بينهما أنكر خالد أن له شيئاً عند زيد، فأمر يوسف بإخراج زيد من الكوفة بناءً على أمر من هشام، فطلب زيد مهلـة ثلاثـة أيـام،

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص188. المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت286 هـ /899م) الكامل في اللغة والأدب، ط3، ج4، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1997 ص121-125.

(2) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص218.

فرفض يوسف أن يمنحه ولو ساعة واحدة، فاضطر زيد للخروج، ولما وصل العذيب رجع إلى الكوفة، فاجتمعت إليه الشيعة[1]، ثم إن زيد أخذ البيعة لنفسه من أهل الكوفة والبصرة وواسط، وعلم هشام بالأمر قبل الوالي، فبعث برسالة إلى يوسف قائلاً: إنك لغافل، وإن زيد بن علي غارز ذنبه بالكوفة يبايع له، فألح في طلبه وأعطه الأمان، وإن لم يقبل فقاتله[2]، وقد بلغ ديوان زيد 15 ألفاً عدا أهل المدائن والبصرة والموصل وواسط وخراسان وجرجان، فاضطر زيد إلى الخروج قبل موعده نظراً لاكتشاف أمره، وقد حاول يوسف بن عمر درء هذا الخطر عن طريق مجموعة من الاجراءات أهمها منع التجول في رحبة المسجد الجامع بالكوفة[3]، وخرج زيد رافعاً شعار " أمت، أمت يا منصور" إلا أن القبائل اليمانية خذلته، ولما استنجد بأحد رجال الأزد[4] رفض نجدته، فقال زيد: ما أخلفكم! قد فعلتموها، الله حسيبكم، وعبثاً كانت مناداته على المحاصرين بالمسجد ليخرجوا من الذل إلى العز، وأن يخرجوا إلى الدين والدنيا، فإنكم لستم في دين ولا دنيا، وكانت النتيجة أن دفع حياته ثمناً لهذا الخروج[5].

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص67-68.

(2) ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774 هـ /1374م) البداية والنهاية، ط1، ج9، تحقيق علي شيري دار إحياء، التراث العربي، 1988 ص362.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص182.

(4) بنو الأزد هم حي من كهلان من القحطانية، وهم بنو الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان. وكان أهل دبا أسلموا في عهد رسول الله- صلّى الله عليه وسلم- ثم ارتدوا بعده ومنعوا الصدقة، فوجه إليهم أبو بكر عكرمة بن أبى جهل، فقاتلهم فهزمهم، وأثخن فيهم القتل، وتحصن فلّهم في حصن لهم، وحصرهم المسلمون، ثم نزلوا على حكم عكرمة، فقتل مائة من أشرافهم، وسبى ذراريهم، وبعث بهم إلى أبى بكر، وفيهم أبو صفرة غلام لم يبلغ، فأعتقهم عمر - رضى الله عنه- وقال: اذهبوا حيث شئتم، فتفرقوا، فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /889م) المعارف، ط2، تحقيق ثروت عكاشة
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1992 ص399. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821 هـ /1418م) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ط2، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت 1980 ص91.

(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص203.

أما عن ولاية العهد عهد هشام، فيجب أن نشير في البداية إلى أن الخلفاء الأمويون درجوا على خلع ولاة عهودهم، ولم يشذ هشام عن هذه القاعدة فبالرغم من أن يزيد بن عبد الملك هو الذي جعل هشام خليفة، إلا أن هشام حاول خلع ابنه الذي وضعه ولياً لعهده وهو الوليد بن يزيد، وقد ظلت العلاقة بين هشام وابن أخيه حسنة في بادئ الأمر، ويلاحظ أن الذي عكّر صفو هذه العلاقة هو محاولة هشام خلع الوليد والبيع لابنه مسلمه الملقّب بأبي شاكر[1]، ويذكر البلاذري أن ابن هبيرة هو الذي أشار على هشام بتولية ابنه، فبدأ هشام يفكر في الأمر[2]، ومن أجل تحقيق هذه الغاية كان لا بد من إقناع الناس بالأسباب الموجبة لذلك، فأظهر شتم الوليد وتسفيهه، لإقباله على الشراب وعلى اللهو، وكاتب أهل الشام بالبيعة لأبي شاكر، فأجابه خلق كثير بينهم عدد لا بأس به من بني أميه[3]، إلا أنه هشام لم يتمكن من عزل ولي عهده، فاضطر الوليد بن يزيد إلى مغادرة الرصافة والتوجه إلى الأزرق من أرض الأردن[4].

وفي السادس من ربيع الأول سنة 125 هـ /743م توفي هشام بن عبد الملك بالرصافة، وكانت خلافته تسع عشرة سنة وتسعة أشهر وواحداً وعشرين يوماً، وكان مرضه الذبحة، وعمره خمس وخمسون سنة، وقيل ست وخمسون سنة[5].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص209.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص37.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص388.

(4) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج4، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1997ص285.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص282.

المبحث الثاني: الوليد بن يزيد125 -126هـ/743-744م

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، كان من فتيان بني أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم، يعاب بالانهماك في اللهو وسماع الغناء، له شعر رقيق وعلم بالموسيقى[1]،

ولا بد من الإشارة إلى أن العلاقة بين الوليد بن يزيد وبين هشام بن عبد الملك لم تكن حسنة منذ مطلع سنة 120 هـ /737م ويذكر الطبري أن هشام جعل الوليد على موسم الحج في هذه السنة، وبعد ذلك ساءت العلاقة بينهما، فغادر الوليد الرصافة إلى الأزرق وهناك بدأ يمارس حياته الخاصة وشربه ولهوه[2]، ولكن هذا الأمر لم يكن حكراً على الوليد بن يزيد، فمثلاً محمد بن سليمان بن عبد الملك كان من أطرب الناس وأحسنهم صوتاً وغناءً، فكان يدخل على الوليد ويغنيه، وفتيان من آل أبي معيط شخصوا من الكوفة إلى الوليد في الأزرق ليغنوا ويشربوا معه[3]، وهذا ابن هشام مسلمة المكنى بأبي شاكر كان يحب الغناء والشراب، ولما أكثر هاشم في تأنيب الوليد كتب الوليد إلى هشام شعراً جاء فيه:

يا أيها السائل عن ديننا ... نحن على دين أبي شاكر

نشربها صرفا وممزوجة ... بالسخن أحيانا وبالفاتر

فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أبا شاكر، وقال له: يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضر الجماعة[4]، إذن لا شك أن معظم هذه الاتهامات كانت محض تلفيق للوليد، فهو الذي رفض التنازل عن الخلافة فلا بد أن تلصق به هذه التهم

---

(1) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748 هـ /1347م) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان ، ط2 ، ج8، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت 1993 ص287-288.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص209.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص158-159.

(4) ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314 هـ /926م) الفتوح، ط1، ج8، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت 1991 ص303.

وغيرها، ومن بين هذه التهم ما جاء على لسان يزيد بن عنبسة للوليد أثناء محاصرته له منها، شرب الخمر ونكاح أمهات أولاد أبيه واستخفافه بأمر الله، فرد عليه الوليد: حسبك يا أخا السكاسك، فلعمري لقد أكثرت وأغرقت، وإن فيما أحل لي لسعة عما ذكرت[1]، ومن التهم الأخرى أنه أراد أن يبني بيتاً على الكعبة يجلس فيه للهو وأنه وجّه مهندساً لذلك[2].

إن المدقق في هذه التهم يجد أنها مجرد تلفيق ونستدل على ذلك بالأمور التالية:

1- أن هشاماً عندما قطع ما كان يجري على الوليد من المال بسبب شعر بلغه على لسان الوليد، كتب إلى الوليد وقال له: بلغني عنك أنك اتخذت عبد الصمد خدناً ومحدثاً ونديماً، وقد حقق ذلك عندي ما بلغني عنك، ولم أبرئك من سوء، فأخرج عبد الصمد مذموماً مدحوراً[3]، فانصاع الوليد للأمر دون نقاش.

2- أن هشام بن عبد الملك اتهم الوليد في إنفاق الأموال في غير محلها، ولم يذكر لنا كيف كان ينفقها، وظنّ هشام أنه كان ينفقها على من حوله أمثال ابن سهيل الذي وصفه هشام بأنه كان مغنياً زفاناً، ولكن ابن سهيل هذا كان قد تولى دمشق أكثر من مرة قبل خلافة يزيد[4]، وهذا ينافي ما نُسب إليه من تهم.

3- أن كثيراً من الشعر المنسوب إلى الوليد هو شعر منحول قيل على لسان الوليد ولا سيما من قبل شعراء اليمانية، وبعد مقتل خالد بن عبد الله القسري[5].

4- أن اتهام يزيد بن الوليد للوليد بن يزيد لم يخرج عما سمعه من الناس من استخفاف الوليد بالدين، وأن يزيد ضاق ذرعاً بهذه التهم، مثل ذلك معاوية بن عمرو بن عتبة لما سمع

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص210.
(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص75.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص211.
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص212-214.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص234.

خوض الناس بالوليد ذهب إليه وأخبره بما يتحدث به الناس، ونصحه بالعدول عن ذلك، فقال الوليد: لو علم بنو مروان أنهم إنما يوقدون على رضف يلقونه في أجوافهم ما فعلوا[1].

ومع ذلك فإن هذه التهم وجدت آذاناً صاغية لدى كثير من الناس، فكانت الثورة عليه وخلعه عن الخلافة، ويمكن أن نعيد الأسباب الرئيسة لهذه الثورة لعدة أسباب أهمها عزله لجميع الولاة الذين كانوا أيام هشام بن عبد الملك باستثناء يوسف بن عمر، لأنه لم يوافق الخليفة على عزل الوليد، وتعيين ابنه مسلمة بدلاً عنه أو ولياً للعهد[2]، ولم يكتف الوليد بعزل الولاة بل عذّب بعضهم إلى حد القتل أمثال خالد القسري، والوليد وعبد الملك ابني القعقاع ومحمد وابراهيم ابني هشام المخزومي[3]، ويضاف لذلك مقتل يحيى بن زيد وصلبه، ولم يجد العباسيون أفضل من هذه الواقعة للترويج لدعوتهم الناشئة حديثاً، ويذكر لنا المسعودي أنه من شدة حب أهل خراسان ليحيى ولوالده زيد أنه لم يلد مولود في عام 125ه/742م إلا وسمي زيد أو يحيى، وذلك لما أصاب أهل خراسان من حزن وجزع على زيد وابنه[4]، أما بالنسبة للقدرية الذين نفاهم هشام إلى جزيرة دهلك فإن الوليد ظلّ مصراً على رأيه بهم وامتنع عن الافراج عنهم، وحين كلّمه بعض أصحابه في شأنهم قال: " والله ما عمل هشام عملا أرجى أن تناله به المغفرة من تسييره هؤلاء، وقتله القدرية" يعني غيلان وصاحبه"[5]، وسيجد القدرية آذاناً صاغية عند الخليفة التالي يزيد بن الوليد فكانوا عوناً له على الثورة.

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص237-138.
(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص73.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص76.
(4) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص225.
(5) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص168.

ولا ننسى أيضاً مطالبته خالد بن عبد الله القسري بمبلغ 50 مليون درهم وبيعه ليوسف بن عمر، لأنه رفض البيعة لابني الوليد بن يزيد الحكم وعثمان، وقوله : كيف أبايع من لا أصلي خلفه، ولا أقبل شهادته، فدفعه الوليد إلى يوسف بن عمر عدوه اللدود، فاشتراه ب 50 مليون درهم، فقال خالد القسري: عهدي بالعرب لا تباع[1]، فأخذه يوسف وعذّبه مما أدى إلى موته، فكان مقتل خالد القسري بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير، وكان اليمنيون هم أول من فكّر في خلع الوليد وحتى قبل موت خالد، إلا أن موت خالد دفعهم في التعجيب بالثورة على الوليد والانضمام إلى الطرف الآخر حيث يزيد بن الوليد[2].

يقول الطبري: " وكان من أعظم ما جنى على نفسه –الوليد بن يزيد– حتى أورثه ذلك هلاكه افساده على نفسه بنى عميه بنى هشام وولد الوليد، ابني عبد الملك بن مروان، مع إفساده على نفسه اليمانية، وهم عظم جند أهل الشام"[3]، ومن هذا يتضح أن الوليد كانت معاملته لأبناء عمومته في غاية السوء، فالعلاقة بين الوليد وبعض أبناء الوليد بن عبد الملك لم تكن على ما يرام، منذ أن فرّق هشام بين عبد الجبار بن يزيد أخو الوليد، وبين ابنه محمد بن الوليد بن عبد الملك لضعفه ومرضه[4]، وهذا زاد من البغض وتعميق الكراهية بينهم.

لقد بدأ الوليد عهده بداية سيئة، عندما كتب إلى العباس بن الوليد أن يأتي إلى الرصافة، وأن يأخذ بني هشام وحشمه وأن يُحصي أملاكهم وأموالهم، باستثناء مسلمة بن هشام، لأنه كان يكلّم أباه في الرفق بالوليد، ولم يقف عند هذا الحد، بل أمر بضرب سليمان بن هشام مائة

---

(1) الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281 هـ /894م) الأخبار الطوال، ط1، تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة 1960 ص347.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص168.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص231.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص164.

سوط، وحلق رأسه ولحيته، وغرّبه إلى عمّان وحبسه بها، فلم يزل محبوساً حتى قتل الوليد، كما حبس الأفقم ويزيد ابني هشام، وساءت علاقته مع عمر بن الوليد بن عبد الملك[1].

وتسرّع الوليد أيما تسرع في إعطاء ولاية العهد لابنيه الحكم وعثمان، وذلك بعد ما يقرب من شهرين من توليه الخلافة، إذ كانت خلافته في ربيع الآخر والبيع لولديه في رجب من سنة 125 هـ /742م[2]، وعندها أيقن باقي أفراد البيت الأموي أن الخلافة قد ولّت عنهم إلى غير رجعة.

وبعد أن رفض خالد القسري الوقوف في جانب اليمانية من أجل الثورة على الوليد وخلعه، جاءت اليمانية إلى يزيد بن الوليد وعرضوا عليه الأمر، وذلك لأنه كان يظهر التدين، بل إن بعض المصادر عدّته قدرياً، وزوجته كانت كلبية ومعروف أن كلب من أكبر قبائل العرب[3].

وبالفعل خرج يزيد بن الوليد وتمكن من الاستيلاء على دمشق دون مقاومة تذكر، ومما سهّل ذلك أن الأجواء كانت ماطرة، وحين استولى على دمشق وزّع العطاء على الناس، ومن لم يكن له عطاء منحه ألف درهم معونة[4]، وعندما علم الوليد بما حدث استشار أصحابه فأشاروا عليه بالتوجه إلى تدمر أو إلى حمص، ولكنه رفض ذلك لأن قبيلة كلب وقفت بجانب يزيد، فقرر أن يتوجه إلى حمص، ولما وصل إلى حصن البحراء على مقربة من تدمر، كان

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص116-231-232.
(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص164.
(3) مجهول، العيون والحدائق، ليدن 1896 ص134.
(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج9، ص174.

جيش يزيد على رأسه عبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك قد حاصره، وكانت النتيجة مقتل الوليد وإرسال رأسه إلى يزيد، فنصبه على رمح وطاف به أسواق دمشق[1].

يزيد بن الوليد

تولى يزيد الخلافة في مستهل رجب سنة 126 هـ /743م وهو أول خليفة أمه ليست عربية، فأمه هي شاه فرند بنت فيروز كسرى، وقد لقّب بيزيد الناقص لأنه أنقص الزيادة التي منحها الوليد بن يزيد[2]، ويورد اليعقوبي أنه بايع لأخيه ابراهيم بعد ثلاثة أيام من خلافته، وهو كذلك ابن أمه، ووجّهه إلى الأردن[3]، بينما يذكر ابن عساكر أن البيعة لإبراهيم جرى الحديث عنها أثناء مرض يزيد، وفي رواية أنه بايع له أثناء مرضه تحت تأثير القدرية، ومن بعده لعبد العزيز بن الحجاج، وفي رواية أخرى أنه لم يبايع لإبراهيم ولا لأحد من الناس[4].

لقد أدّى مقتل الوليد إلى اضطراب جميع بلدان الدولة، ولا سيما الشام، وتزامن ذلك مع انقسام حاد بين الأمراء الأمويين، وصار كل جند من الأجناد مع أحد الأمراء، فحمص شايعت العباس بن الوليد، وانضم إليه أبو محمد بن عبد الله بن يزيد، الملقب بالسفياني المنتظر، وقتلوا عاملهم عبد الله بن شجرة الكندي، وقنسرين سيطر عليها بشر بن الوليد مؤازراً لأخيه يزيد، وفلسطين بايعت ليزيد بن سليمان وطردوا عاملها سعيد بن عبد الملك، أما الأردن فقد سيطر عليها عمر بن الوليد، ولما بلغهم ما حدث في فلسطين أخرجوا عمر منها وولوا عليها محمد بن عبد الملك، فوجّه يزيد بن الوليد سليمان بن هشام إلى الأردن وفلسطين بعد أن انتصر على أهل حمص، بجيش وصل عدده ل 84 ألف جندي من دمشق وحمص وهم الذين كانوا مع

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص382.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص261.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص77.
(4) ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711ه/1311م) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ط1، ج4، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر، دمشق 1984 ص172.

السفياني، وتمكّن يزيد من أخذ بيعة الجندين من غير قتال[1]، أما عمّان فثار فيها سليمان بن هشام وأخذ الأموال وتوجّه إلى دمشق وجعل يسب الوليد ويصفه بالكفر[2]، وقتل أهل مصر أميرهم حفص بن الوليد الحضرمي[3]، وأخرج أهل المدينة عاملهم عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز[4]، هذه المعطيات الصعبة كانت كلها أمام يزيد، فالوضع غير مستقر على الإطلاق.

ولكي يخرج يزيد بن الوليد من هذا المأزق وليضمن ولاء الناس خرج بمنشور معلناً فيه أسباب ثورته، وكان من أهم بنود هذا المنشور أنه خرج لله ولرسوله ولدينه، ودعا إلى كتاب الله وسنة نبيه والقضاء على الجبار العنيد (الوليد) المستحل لكل حرمة، وعدم تصديقه بالكتاب ولا الإيمان بيوم الحساب، وكذلك للحفاظ على الأموال العامة وعدم إنفاقها في بناء القصور، وعدم نقلها من بلد إلى آخر إلا ما زاد عن حاجة المصر نفسه، وكذلك عدم تجمير الجنود، وفتح أبواب الخليفة لجميع الناس[5]، ويظهر أن هذا الخطاب لم يؤت أكله، وظل الوضع يتفاقم من سيء إلى أسوأ.

وفي العراق حاول يوسف بن عمر أن ينتظر ما تسفر عنه الأمور في البداية، ولكن وصول منصور بن جهور إلى العراق أدى إلى اضطراب الأمور، لا سيما وأن منصور صار من المؤيدين لآراء يزيد القدرية[6]، ومن أجل كسب ود العراقيين كتب لهم رسالة خاصة بيّن بيّن فيها مساوئ الوليد هذا نصها: " أن الله اختار الإسلام ديناً وارتضاه وطهره، وافترض فيه

---

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص77. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص266.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص262.
(3) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص77.
(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص77.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص268.
(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص27.

حقوقاً أمر بها، ونهى عن أمور حرمها، ابتلاء لعباده في طاعتهم ومعصيتهم، فأكمل فيه كل منقبة خير وجسيم فضل، ثم تولاه، فكان له حافظاً ولأهله المقيمين حدوده ولياً، يحوطهم ويعرفهم بفضل الإسلام، فلم يكرم الله بالخلافة أحداً يأخذ بأمر الله وينتهي إليه فيناوئه أحد بميثاق أو يحاول صرف ما حباه الله به، أو ينكث ناكث، إلا كان كيده الأوهن، ومكره الأبور، حتى يتم الله ما أعطاه، ويدخر له أجره ومثوبته، ويجعل عدوه الأضل سبيلاً، الأخسر عملاً....." [1]، كما قام يزيد بتوزيع مبلغ 46 مليون درهم على المؤيدين له، أو في محاولة منه لشراء الناس[2]، وأرسل الجند إلى المناطق الثائرة، وعزل والي لعراق لعدم كفاءته الإدارية، وعيّن بدلاً منه عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، بحجة أن أهل العراق يحبونه، وما إن وصل عبد الله للعراق، وبدأ بتوزيع العطاء على مستحقيه[3].

وفي أرمينيا دعا مروان بن محمد بعد مقتل الوليد إلى بيعة من يرتضيه المسلمون، فلما وصل حران كاتبه يزيد ووعده أن يوليه ما كان عليه أبوه أيام عبد الملك فرضي وبايع، وبعد أن أخذت الأمور تميل إلى صالح يزيد بن الوليد عاجله الموت في ذي الحجة من عام 127 هـ /744م ولم يمض على خلافته ستة أشهر[4]، وتولى الخلافة بعده أخوه إبراهيم بن الوليد.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص275.
(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص77.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص284.
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص596.

المبحث الثالث: إبراهيم بن الوليد 126هـ/744م

ومع مجيء هذا الخليفة ظلت الأمور غير مستقرة، وقد وصف المسعودي حالة الأمة في عهد إبراهيم بأنها كانت عجيبة الشأن من كثرة الهرج والاختلاط واختلاف الكلمة وسقوط الهيبة[1]، أما الطبري فقد ذكر أن الأمر لم يتم له، فكان يُسلّم عليه جمعةً بالخلافة، وجمعةً بالإمارة، وجمعة لا يسلّمون عليه لا بالخلافة ولا بالإمارة، حتى قدم مروان بن محمد[2].

المبحث الرابع: مروان بن محمد 127-132هـ/744-749م

تولى الحكم في صفر سنة 127 هـ /744م وأمه أم ولد اسمها ريا، وقيل بل طرونة، وقد اجتمع أهل الشام على بيعته إلا سليمان بن هشام ومعه بعض الأمويين[3]، وتشجّع مروان بالخروج من أرمينيا بعد موت الوليد، وتوجّه إلى الجزيرة وهناك أخذ يستطلع الأحوال في الشام، وقرر أن تكون وجهته الأولى دمشق، وقبل أن يبدأ بأية خطوة عسكرية فرض لستة وعشرين ألفاً من قيس ولسبعة آلاف من ربيعة، وأعطاهم الأعطيات، ثم توجّه بعد ذلك إلى الشام ، واستخلف على الجزيرة ابنه عبد الملك وفي رواية أخرى عبد العزيز[4]، وكانت أحوال الشام مضطرة قبل قدوم مروان بن محمد، فقنسرين كان أهلها قد ثاروا على بشر ومسرور ابني الوليد، مما سهّل الأمر على مروان في إلقاء القبض عليهما[5]، وكذلك فعل أهالي حمص فثاروا على والي يزيد وامتنعوا عن البيعة لإبراهيم وعبد العزيز بن الحجاج، فأرسل إبراهيم إليهم عبد العزيز، فلما دنا مروان من حمص رحل عبد العزيز وبايع أهلها

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص233.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص299.

(3) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص247.

(4) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص391. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص298.

(5) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص391. اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص78. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص300.

لمروان وساروا معه لدمشق، أما دمشق فقد ثار أهلها على عبد العزيز بن الحجاج فقتلوه، وقطعوا رأسه وجاؤوا به إلى أبي محمد السفياني، وقبل أن يفر إبراهيم ومن معه قتلوا من كان بسجن الخضراء وفي مقدمتهم ابني الوليد، فلما دخل مروان دمشق، تقدم إليه أبو محمد السفياني، وكان قد نجا من الموت وهو في السجن بأعجوبة، وبايع لمروان بن محمد وفق وصية ادّعاها من ابني الوليد[1].

وهكذا فقد تمت البيعة لمروان بن محمد، ثم جاء إبراهيم بعد ذلك وخلع نفسه، وبايع لمروان[2]، وقبل أن يتجّه مروان إلى الجزيرة أوكل لأجناد الشام أن تختار لرئاستها من تراه مناسباً[3].

ولكن هل هدأت الأمور لمروان بن محمد، لعل ذلك يبدو من خلال تتبع حالة كل مصر من الأمصار، ففلسطين قام بها ثابت بن نعيم الجذامي، وأخذ يراسل الأمصار الأخرى ويحثهم على الثورة على مروان، وسمّى نفسه الأصفر القحطاني، وتوجّه من فلسطين إلى طبريا فحاصرها، وكذلك فعل أهل الأردن فما إن وصل جيش الخليفة إلا وبدأوا بالمقاومة، وبعد وصول جيش مروان تمكّن من هزيمة ثابت وإلقاء القبض عليه وإرساله إلى مروان ومعه ثلاثة من بنيه، فقطع مروان أيديهم وأرجلهم وصلبهم على أبواب دمشق[4].

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص393.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج3، ص78.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص312.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص338-339.

أما أهل حمص فقد قاموا بالكتابة إلى أهل تدمر طالبين نجدتهم للثورة على مروان، فجاءهم ألف من المقاتلين، فأسرع مروان إليهم وأعمل فيهم السيف، وصلب خمسمائة من أهلها على أبوابها، وهدم سور المدينة وأحرق طرفاً منها[1]،

ولم تكن دمشق بمنأى عن هذه الأحداث، فقامت اليمانية بقيادة يزيد بن خالد القسري بالثورة على مروان، فأرسل إليهم جيشاً قوامه عشرة آلاف رجل فأحرق قرى المزة، وبعض قرى اليمانية الأخرى، وتمكن الجيش من قتل يزيد القسري[2]، ولم يجد اليمانيون ضالتهم إلا عند سليمان بن هشام فأغروه بالثورة على مروان، فاجتمع إليه سبعون ألفاً من أهل الشام، وأقام عسكره في قرية خساف، لكن مروان تمكّن من هزيمته فهرب إلى حمص، وهناك ارتكب مروان خطأً آخر، عنما أمر قائد جيشه أن يقتل كل أسير إلا إذا كان عبداً مملوكاً، فوصل عدد القتلى لما يقرب من ثلاثين ألف، مما زاد من حقد اليمانية على مروان[3].

وسليمان بن هشام لم يجد أمامه إلا مدينة حمص فدخلها، وأعاد بناء سورها وتحصّن بداخلها، بعد أن عاهدته اليمانية على قتال مروان، إلا أن مروان تمكّن من هزيمة الجيش الذي أرسله سليمان لمواجهة جيش الخليفة خارج أسوار حمص، فهزمه مروان وتقدّم وحاصر حمص بضعة أشهر، فاستسلمت المدينة بعد أن ضربها بالمنجنيق، إلا أن سليمان هرب والتحق بالخوارج[4].

أما مصر فقد رفض أهلها ولاية حسان بن عتاهية التجيبي، وطالبوا بحفص بن الوليد الحضرمي، ولكن مروان عزل حسان وعيّن مكانه حنظلة بن صفوان، إلا أن المصريين

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص337.

(2) الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت334 هـ /946م) تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، دار إحياء التراث، القاهرة 1967 ص66.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ص155.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص327.

رفضوا ذلك وطردوا حنظلة من مدينة الفسطاط، وفي سنة 128 هـ /745م عيّن مروان على مصر الحوثرة بن سهيل الباهلي فأعمل السيف برقاب اليمانية، فاضطرّ إلى الخروج من مصر، وتولى مصر بعد ذلك أربعة ولاة في سنة واحدة، كما أن أهل مصر سيرفضون استقبال مروان بعد هزيمته في الزاب سنة 132 هـ /750م[1].

وإن انتقلنا للجانب الغربي من العالم الإسلامي فالأمر كان يزداد صعوبة، فإفريقيا قامت فيها اليمانية بالاستيلاء على بعض المناطق مثل تونس وطيفاس، وفي الجبال ثار البربر، ولم يتمكن عبد الرحمن بن حبيب الفهري من تدارك الأمور[2]، وفي الأندلس أيضاً قامت فتنة بين اليمانية والقيسية مما جعل الأندلس بعض الأحيان تبقى بلا والي، وطيلة عهد مروان بن محمد كان الصراع يتجدد بين الأطراف القبلية في الأندلس[3].

أما في العراق فلما تولى مروان أرسل إليهم النضر بن سعيد الحرشي فانقسم أهل العراق فريقين فريق مع النضر وفريق آخر مع ابن عمر، ومكثوا مدةً وهم يقتتلون، إلى أن ظهر على مسرح الأحداث الضحاك بن قيس الشيباني على رأس الخوارج، فانضم ابن عمر إلى الخوارج، وصلّى خلف الضحاك وكان لذلك أثر كبير وأصداء مدوّية، واعتبرت بكر بن وائل ذلك نصراً كبيراً على قريش، وعبّر عن ذلك أحد الشعراء فقال:

ألم تر أن الله أنزل نصره ... وصلت قريش خلف بكر بن وائل

---

(1) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت355 هـ /966م) كتاب الولاة وكتاب القضاة، ط1، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 ص66.

(2) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص417.

(3) مجهول، العيون والحدائق، ص178.

أما النضر بن سعيد فقد تسلّل من واسط واتّجه إلى مروان في القادسية[1]، وفي سنة 128ه/745م وجّه مروان يزيد بن عمر بن هبيرة إلى العراق، وقد تمكّن ابن هبيرة من دخول الكوفة بعد عدّة وقائع مع الخوارج، وتمّ أسر ابن عمر وأرسل إلى حران حيث سجن مع إبراهيم بن محمد بن علي[2]، هذا وقد تمكّن محمد بن مروان لاحقاً من قتل الضحّاك وخليفته الخيبري وفرّ قسم كبير من الخوارج إلى عمان[3].

ومن الشرق أخذ أهالي خراسان يطالبون بالأعطيات فهدّدهم الوالي نصر بن سيّار بالحرمان، فاستغل جديع بن علي الكرماني ذلك وقال لليمانية: " الناس في فتنة، فإن رأيتم فانظروا لأنفسكم رجلاً، فقالوا له: أنت لنا"[4]، ثم سجنه نصر بن سيّار لمّا علم بذلك، إلا أن قبيلته الأزد تمكّنت من إخراجه من السجن وتوجّه إلى باب مرو الروذ، وحاول نصر بعد ذلك أن يعقد معه صلحاً، ومحذّراً له من مغبّة الفرقة، إلا أنه لم يقبل وطالب بعزل نصر وتولية رجل من ربيعة، ثم اتجّه نصر إلى الثائر الآخر بخراسان وهو الحارث بن سريج وعقد معه هدنة، ولكنّها لم تدم طويلاً، وعاد الحارث يطالب بأن يكون الأمر شورى مما دفع نصر بن سيار إلى قتاله والانتصار عليه، وإثر هذه الهزيمة اتّحد الكرماني والحارث وتمكنوا من هزيمة جيش نصر وقتل ابنه تميم فتغيّر مجرى الأحداث[5]، إلا أن هذه الاتحاد لم يدم طويلاً وتجددت المواجهة بينهما، فقتل الحارث وتمكّنت اليمانية من إحراز النصر على المضريين وإجلائهم عن مرو، وتمكن نصر بن سيار من استعادة المدينة بعد عدة مرات، إلا أن القتال

---

(1) المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) التنبيه والإشراف، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة (د.ت) ص282.

(2) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص405.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص353.

(4) مجهول، تاريخ الخلفاء، تقديم بطرس غريازيتونج، دار التقدم، موسكو 1967 ص463.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص353-355.

بينه وبين الكرماني استمر لأكثر من عشرين شهراً، مما أفسح المجال لأبي مسلم الخراساني أن يعمل بنشاط في دعوته الناشئة حديثاً[1].

ثم حاول نصر أن يضم إلى جانبه الخوارج لمواجهة أبي مسلم، إلا أن أبا مسلم وبمساعدة من علي بن جديع الكرماني استطاع أن يبطل هذا الاتفاق، فأخذ أبو مسلم بالاستيلاء على مدن خراسان فاستولى على هراة ومرو وسرخس، ولما عرف نصر بسقوط سرخس قال: " اليوم استحكم الشر على مروان، لأن أهل سرخس كانوا يداً واحدةً على الهاشمية[2] ، وقد عمل نصر جاهداً على تدارك الوضع فاستنجد بوالي العراق وبالخليفة عدة مرات، ولكن محاولاته لم يكتب لها النجاح، لانشغال كل من الخليفة والوالي بالفتن التي كانت تحدث بالعراق وبالشام، ولم ترسل النجدات لنصر إلا بعد فوات الأوان بقيادة نباتة بن حنظلة الكلبي، إلا أن نباتة لقي حتفه في أول لقاء مع الدعاة العباسيين، وبعد فترة قصيرة قتل نصر فكان على ابن هبيرة أن يبعث جيشاً لملاقاة جيش الدعاة في جابلق[3] قرب أصفهان، وكان الطرفان يعلّقان آمالاً كبيرة على هذا اللقاء، وقالوا: إن ظفر ابن ضبارة " عامر بن ضبارة قائد ابن هبيرة " ثبت الملك، وإن ظفر قحطبة الطائي " قائد الدعاة" تم الأمر لبني هاشم[4]، وانتهى هذا اللقاء بينهما بهزيمة جيش الأمويين ومقتل قوات ابن ضبارة فأصبحت قوات الدعاة العباسيين على الأبواب.

اعتبرت معركة جابلق قرب أصفهان سنة 131 هـ /748م بداية النهاية للأمويين، وقد عمل مروان بن محمد على تجميع قواته من جديد، وأرسل إلى ابن هبيرة كي ينهض بمن

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص371.

(2) مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس وولده، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت(د.ت) ص322.

(3) جابلق رستاق بأصبهان. الحموي، معجم البلدان، ج1، ص304.

(4) مجهول، أخبار الدولة العباسية وفيه أخبار العباس، ص354. .

معه، وكذلك من فلول ابن ضبارة والحوثرة بن سهيل، والتقى ابن هبيرة بجيش الدعاة في 8محرم سنة 132ه/17 آب 749م فهُزم الجيش الأموي على الرغم من سقوط قائد جيش الدعاة قحطبة الطائي قتيلاً، فتفرق جيش الأمويين إلى عدة أماكن، قسم اتجه إلى الشام، وقسم إلى الجزيرة، وقسم إلى الكوفة، وقسم إلى واسط[1].

وقد أدى انتصار الدعاة في الفلوجة إلى قيام الكوفة بإعلان السواد بزعامة محمد بن خالد القسري، وتمكن الدعاة من دخول الكوفة في 10 محرم 132 هـ /19 آب 749م وبعد ذلك تمت البيعة لأبي العباس عبد الله الملقب بالسفاح وكان على السفاح أن يواجه الجيش الأموي الثابت في العراق، الآتي من الشام، فعيّن على جيشه عمه عبد الله بن علي والتقى بجيش مروان في الزاب، وبالرغم من أن قوات الفريقين كانت متقاربة، إلا أن هناك تبايناً بدا واضحاً في الانسجام والقوة المعنوية لصالح الجيش العباسي، وامتدت المعركة لعشرة أيام، ارتكب فيها مروان بن محمد خطأً فادحاً حينما أمر جيشه بعبور نهر الفرات تجاه العباسيين مما أدى إلى هزيمته، وتوجّه مروان بعد الزاب إلى الموصل، فأغلقت أبوابها في وجهه، ثم فرّ إلى قنسرين وحمص، فهاجمته قبائل طي وتنوخ، ولما يئس من أهلها توجّه إلى دمشق ومنها إلى الأردن، ثم إلى فلسطين إلى أن وصل قرية بوصير في مصر حيث قتل هناك[2].

إن العصبية التي انتهجها مروان كانت أهم الأسباب التي أدت لهزيمته، وقال هو فار إلى مصر: " انفرجت عني قيس انفراج الرأس، ما تبقّى منهم أحد، وذلك أننا وضعنا الأمر في غير موضعه"[3]، وذكر المسعودي أنه ما قطع الفرات معه إلا رجلين من قيس[1]، وبهذا

---

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج2، ص423.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص43. ابن أعثم، الفتوح، ج8، ص331. ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص13.

(3) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص162.

طويت صفحة أخرى من صفحات التاريخ بسقوط الدولة الأموية، وقضى مروان بن محمد، ولم يستفد شيئاً من حروبه الكثيرة التي خاضها، وكان طيلة حكم يضرب السيف بالسيف، ويغسل الدرن بالدرن، وداوي الداء بالداء[2].

المبحث الخامس: الحياة السياسية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني

من المؤكد أن العراقيين ساروا في ثوراتهم ضد الأمويين في سبل متعددة، بمعنى أن كل حسب هواه، فمنهم من رأي الشيعة، فاتخذ من علي رمزاً لنضاله، وانضم إلى صفوفهم واشترك معهم في ثوراتهم، ومنهم من رأي الخوارج فحارب الأمويين على مبدئهم، بينما انصرف آخرون إلى الزهد، فإن من خسر هذه الحروب، ولم يستطع اقتناص الدنيا من أيدي الأمويين تحولوا إلى الزهد فيها، ووضعوا أمانيهم في الآخرة، وما وعد الله به عباده المتقين فانصرفوا من متاع الدنيا إلى متاع الآخرة[3]، ولا أدل على اختلافهم في الوسائل واتحادهم في الهدف ما جاء في رسالة أحد العراقيين كان قد أرسلها إلى محمد بن الحنفية قال فيها: " فما زال بنا الشين في حبكم حتى ضربت عليه الأعناق وأبطلت الشهادات وشردنا في البلاد وأوذينا حتى لقد هممت أن أذهب في الأرض قفراً فأعبد الله حتى ألقاه لولا أن يخفى علي أمر آل محمد، وحتى هممت أن أخرج مع أقوام شهادتنا وشهادتهم واحدة على أمرائنا فيخرجون فيقاتلون ونقيم"[4]، وإن سياسة الأمويين مع الشيعة والتي اتسمت بالتعسف وكبح جماحهم والقضاء بقسوة على كل حركة يقومون بها، دفعت الشيعة إلى انتهاج طريق مختلف ألا وهو طريق السريّة، وأيضاً نشر آراء ومذاهب جديدة في الدين، فنتج عن ذلك بروز الفرق الشيعية

---

(1) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، ص264.

(2) مجهول، تاريخ الخلفاء، ص590.

(3) ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، القاهرة 1952 ص36.

(4) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230 هـ /845م) الطبقات الكبرى، ط1، ج5، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 ص71.

المتطرفة وفرق الغلاة، وانتشرت هذه الحركات الاجتماعية والدينية بصورة واسعة النطـــاق، فانضمت إليها جميع العناصر الاسلامية المعادية للعرب والأمويين جميعاً.

إن التشيّع الذي كان في مبدأ أمره ولاءً لعلي وأهل بيته ومساعدةً لهم لنيل حقـــوقهم فـــي الخلافة لم يعد كما كان، وأصبح وسيلةً لغايات شتى من ذلك الغلو في التشيع الـــذي اختلفـــت مناهجه واتحدت أهدافه وهو الخروج عن قواعد الدين الإسلامي، وإحياء معتقدات قديمة كانت منتشرة في العراق، فهذه المزدكية[1] أخذوا منها ما تميزت به من إباحة وتحلّـــل مـــن القيـــود الخلقية، وجاؤوا بعقائد جديدة تعارض الإسلام والنظام الذي أقامه على أساس مدني مستمد من أقوم الأسس والمبادئ، غايتهم من ذلك إضعاف الدين، وهدم هذا النظام القائم الـــذي يفـــرض عليهم سلطانه[2].

وإنه مما ساعد على قيام هذه الحركة وانتشارها وجود الموالي الذين أسلموا، وهؤلاء لم تعاملهم الدولة الأموية نفس المعاملة التي عاملت بها المسلمين العـــرب، فحـــزّ فـــي نفوســـهم ووجدوا في التشيّع وسيلتهم لنيل أغراضهم التي يسعون إليها.

---

(1) المزدكية: حركة دينية فارسية ظهرت في عهد كسرى قباذ بن فيروز في أواخر القرن الخامس الميلادي على يد مزدك الذي نادى بالشيوع في الجنس والمال، وعلى المستوى التصوري عدت المزدكية من العقائد الثنوية التي يتقول بصراع النور والظلمة. طقوش، محمد سهيل، تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية، ط1، دار النفائس، بيروت 2002 ص98.

(2) عبد العال، جابر، حركة الشيعة المتطرفين، ص33.

وهنا ينبغي الإشارة إلى أن أهل العراق اتّسموا بالتمرد على النظـــام وحـــبّهم للحريـــة، وكانوا يسعون باستمرار إلى الاستقلال، فما تركوا سبيلاً إلا وحاولوا المسير فيه، فلما عجزوا في ثوراتهم لم يستسلموا لقوة السلطان أو واقع الأمر، فمنهم من خرج مهاجراً مفضّـــلاً تـــرك الوطن على تجرع مرارة الظلم والذل والحرمان، ومن هؤلاء من لجأ إلى المدينة منهم ســـعيد بن جبير[1]، وأبو السوداء من عبّاد البصرة، حتى أن الوليد بن عبد الملك أرســـل حيّـــان بـــن عثمان المري إلى المدينة ليخرج من بها من اللاجئين العراقيين[2]، بينما ظل آخرون يناضلون بكل الوسائل للتخلص من هذا الاستغلال، فكان لهم ما أرادوا، فساهموا فـــي إســـقاط الدولـــة الأموية، وجاؤوا بدولة جديدة هي الدولة العباسية، حيث كان العراق مركـــزاً لنشـــر الدعايـــة السرية لها، والتكتل السري الذي قاد العباسيين إلى النصر، فاستعاد العراقيون مركزهم الـــذي حرموا منه طيلة العهد الأموي.

إن من القارئ للتاريخ الأموي في العراق لا بد أن يصل إلى أن الثورات العسكرية التي أثارها العراقيون ضد الدولة الأموية يمكن تقسيمها إلى خمسة أنواع، وذلك استناداً إلى أســـباب ونتائج تلك الثورات، وهي كالتالي:

---

(1) سعيد بن جبير الأسدي، بالولاء، الكوفي، أبو عبد الله: تابعي، كان أعلمهم على الإطلاق، وهو حبشي الأصل، من موالي بني والبة بن الحارث من بني أسد، أخذ العلم عن عبد الله بن عباس وابن عمر، ثم كان ابن عباس، إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه، قال: أتسألونني وفيكم ابن أم دهماء؟ يعني سعيداً، ولما خرج عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث، على عبد الملك بن مروان، كان سعيد معه إلى أن قتل عبد الرحمن، فذهب سعيد إلى مكة، فقبض عليه واليها (خالد القسري) وأرسله إلى الحجاج، فقتله بواسط سنة 95ه/714م. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص371.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص485. وردت الرواية عند الطبري هكذا: " رأيت عثمان بن حيان أخذ رياح بن عبيد الله ومنقذاً العراقي فحبسهم وعاقبهم، ثم بعث بهم في جوامع إلى الحجاج بن يوسف، ولم يترك بالمدينة أحداً من أهل العراق تاجراً ولا غير تاجر، وأمر بهم أن يخرجوا من كل بلد، فرأيتهم في الجوامع، وأتبع أهل الأهواء، وأخذ هيصماً فقطعه، ومنحوراً- وكان من الخوارج- قال: وسمعته يخطب على المنبر.....".

أولاً : ثورات علوية، أسبابها الحب لعلي بن أبي طالب وآل بيتــه، والســعي لإعــادة حقهــم المغتصب بالخلافة، ومن أهمها ثورة حجر بن عدي الكندي، وثورة الحسين بن علي بــن أبي طالب، وحركة التوّابين، وثورة زيد بن علي بن الحسين.

ثانياً: ثورات إقليمية، سعت إلى استقلال العراق والتخلص من الحكم الأمــوي، ومــن أبــرز الأمثلة عليها ثورة ابن الأشعث، وثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وغارات عبيد الله بن الحر.

ثالثاً: ثورات الخوارج، وهي ثورات استندت إلى مبادئ خاصة بهم، ولم تتسم بطابع إقليمي أو قومي، وإنما سعت إلى تثبيت الدين ليكون أساساً للخلافة.

رابعاً: ثورات الموالي، وهؤلاء سعوا بكل ما أمكنهم من طاقة إلى نيل حقوقهم التي لم يعترف بها الأمويون، والتي منحهم إياها الدين الإسلامي.

خامساً: ثورات شخصية، وهذه حاول قادتها تحقيق غايتهم التي سعوا إليها، ومن أبرز الأمثلة عليها ثورة المختار بن عبيد الثقفي، ومطرف بن المغيرة، وعبد الله بن معاوية.

أما الثورات التي سنتطرق لها في هذا الفصل فهي التي حدثت في القرن الثاني الهجري/التاسع الميلادي، وسيكون التركيز على الثورة الأكثر فعالية، بغض النظر عن الترتيب الزمني.

أولاً: ثورة زيد بن علي

إن الثورات التي قادها العراقيون ضد الدولة الأموية غضباً لأهل البيت وما لقي أولئك النفر من بيت الرسول من عنف وقتل وتشريد، لم تخلُ من أسباب أخرى أســباب شخصــية، جهد فيها زعماء الثورات أن يستغلوا ميول العراقيين لهذا البيت، لكي يصلوا إلى مــا كانــت تصبو إليه أنفسهم، كما أنهم وجدوا أن أفضل طريقة لالتفاف الناس واجتماعهم هو الدعوة لآل البيت ليصلوا من وراء ذلك إلى أهدافهم، التي كانوا يطمحون إليها للــتخلص مــن الأمــويين

وتحقيق أهداف خاصة بهم، كما فعلت فرق الغلاة والمتطـرفين، أو انصـاف الضـعفاء مـن الموالي وتخليصهم مما كان يلحق بهم من ظلم وجور، وهذه ثورة علي بن زيد تتضـح فيهـا تلك الأهداف التي عمل العراقيون على تحقيقها، ومن المعلوم أن زيد بن علي ثار أيام هشـام بن عبد الملك حين كان يوسف بن عمر الثقفي والياً سنة 121 هـ /739م.

هو الإمام أبو الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، العلوي الهاشـمي القرشي[1]، ويقال له (زيد الشهيد) ويعتبر من خطباء بني هاشم، وقال أبو حنيفة: ما رأيت في زمانه أفقه منه ولا أسرع جواباً ولا أبين قولاً، كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصـل بـن عطاء (رأس المعتزلة) واقتبس منه علم الاعتزال[2]، كان زيد من عظماء أهل البيت- علـيهم السّلام- علماً وزهداً وورعاً وشجاعةً وديناً وكرماً، وكان دائماً يحدّث نفسه بالخلافة، ويـرى أنّه أهل لذلك[3].

وكان أول اتصال أمره بأهل الكوفة إثر عزل خالد بن عبد الله القسري عـن العـراق، وتولية يوسف بن عمر من قبل هشام بن عبد الملك، وقد طولب خالد بمال اتّهـم باختلاسـه، فادّعى أن له مالاً عند زيد وأشخاص آخرين، فاستدعاهم هشام ليسألهم عن هذه الأموال، التي ادعى خالد أنها موجودة لديهم، فأنكروا ذلك، فأرسلهم هشام إلى يوسف ليجمـع بيـنهم وبـين خالد، ويستوضح أمر هذه الأموال، فلما أحضرهم يوسف جمعهم بخالد، ثم إنه عـرض لهـم ادّعاء خالد، فأنكروا أن لخالد عندهم مالاً، وأنكر خالد ذلك أيضاً، فغضب يوسف بن عمـر[4]،

---

(1) الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت 1990 ص124.

(2) الكتبي، محمد بن شاكر (764 هـ /1362م) فوات الوفيات، ط1، ج2، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1974 ص35-38.

(3) ابن الطقطقي، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (ت709 هـ /1309م) الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ط1، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت 1997 ص131.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص161.

وصبّ جام غضبه على خالد، وعذّبه عذاباً شديداً، حتى أنه كاد يموت من ذلك، ثم أحضروا إلى المسجد بناءً على أمر هشام، فحلفوا أن خالداً لم يستودعهم أي مبلغ من المال، ثم طلب يوسف بن عمر إلى زيد أن يسرع بالرحيل ويخرج من الكوفة بناءً على طلب هشام بن عبد الملك، فأمره أن لا يدعه يطيل المقام بالكوفة خوفاً من أن يدعو الناس إلى ما كان يحدّث نفسه من الوصول إلى الخلافة، ويبدو أن هشام قد شعر بذلك حينما هدّده زيد، إذ قال له عندما أمره هشام بالخروج بعد مناقشة حادة[1]:إن خرجت لا تراني إلّا حيث تكره[2].

ويبدو أن الخليفة هشام بن عبد الملك خشي أن يجد فيه أهل العراق أملاً جديداً لإعلان الثورة على الدولة الأموية، فأرسل إلى يوسف بن عمر هذا الكتاب: " أما بعد فقد علمت بحال أهل الكوفة في حبهم أهل هذا البيت، ووضعهم إياهم في غير مواضعهم، لأنهم افترضوا على أنفسهم طاعتهم، ووظفوا عليهم شرائع دينهم، ونحلوهم علم ما هو كائن، حتى حملوهم من تفريق الجماعة على حال استخفوهم فيها إلى الخروج، وقد قدم زين بن علي على أمير المؤمنين في خصومة عمر بن الوليد، ففصل أمير المؤمنين بينهما، ورأى رجلاً جدلاً لسناً خليقاً بتمويه الكلام وصوغه، واجترار الرجال بحلاوة لسانه، وبكثرة مخارجه في حججه، وما يدلي به عند لدد الخصام من السطوة على الخصم بالقوة الحادة لنيل الفلج، فعجل إشخاصه إلى

---

(1) هذا نص المناقشة بينهما : (فقال هشام لزيد بن علي: بلغني عنك كذا؟!

قال: ليس بصحيح.

قال: قد صح عندي.

قال: أحلف لك؟

قال: لا أصدقك.

قال: إن الله لن يرفع من قدر من حلف له بالله، فلم يصدق.

قال: اخرج عني.

قال: إذا لا تراني إلا حيث تكره. انظر الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج5، ص391.

(2) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421 هـ /1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط2، ج3، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران 2000 ص132.

الحجاز، ولا تخله والمقام قبلك، فإنه إن أعاره القوم أسماعهم فحشاها من لين لفظه، وحلاوة منطقه، مع ما يدلى به من القرابة برسول الله صلى الله عليه وسلم، وجدهم ميلاً إليه، غير متئدة قلوبهم ولا ساكنة أحلامهم، ولا مصونة عندهم أديانهم....." [1]، وإن هذه الحماسة والتشجيع الذي لقيه زيد من أهل الكوفة دفعته لأن يبطئ في خروجه من الكوفة، وقد لحق به جماعة ونصحوه بالرجوع " وقالوا له: أين تذهب ومعك مائة ألف سيف نضرب بها دونك، وليس عندنا من بني أميّة إلا نفرٌ قليل؟ لو أنّ قبيلةً واحدة منّا صمدت لهم لكفتهم بإذن الله، ورغّبوه بهذا، وأمثاله، فقال لهم: يا قوم إنّي أخاف غدركم، فإنّكم فعلتم بجدّي الحسين ما فعلتم، وأبى عليهم. فقالوا: نناشدك الله إلا ما رجعت، ونحن نبذل أنفسنا دونك، ونعطيك من الأيمان والعهود والمواثيق ما تثق به، فإنّا نرجو أن تكون المنصور، وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أميّة"[2]، وعندما وجد منهم هذا التصميم والعزيمة التي يبدو أنه انبهر بها، عزم على الرجوع، وصادف ذلك هوىً في نفسه، وتوافقاً مع كانت تحدثه نفسه بأن يكون هو الخليفة، ويرى في نفسه أنه أهل لأن يكون كذلك[3]، ومما ساعده على الخروج كذلك سياسة والي العراق خالد بن عبد الله القسري الذي سبق يوسف بن عمر، فقد كانت سياسته تجاه العلويين تتسم بالعطف والرعاية والمعاملة الحسنة، وقد أرسل يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك ما يلي: " إن أهل هذا البيت من بني هاشم قد كانوا هلكوا جوعاً، حتى كانت همة أحدهم قوت عياله، فلما ولي خالد العراق أعطاهم الأموال فقووا بها حتى تاقت أنفسهم إلى طلب الخلافة، وما خرج زيد إلا عن رأي خالد، والدليل على ذلك نزول خالد بالقرية على مدرجه العراق

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص169-170.

(2) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص131.

(3) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص132.

يستنشئ أخبارها"[1]، ولما أقام زيد في الكوفة وثبت مكانه عند أهاليها، بدأ بإرسال الدعاة إلى الكور والأمصار، يدعوهم إلى نصرته وتأييده، فلقيت هذه الدعوة الاستجابة والتأييد من أهالي جرجان[2] والري وخراسان والجزيرة والموصل وواسط والمدائن والبصرة وغيرها من المناطق، أما الكوفة فقد أحصى من ديوانها خمسة عشر ألفاً من أهلها[3]، وكانت دعوته التي قام بها بين الناس تقوم على جملة من المبادئ، أوجزها الطبري بقوله: " وكانت بيعته التي يبايع عليها الناس: إنا ندعوكم إِلَى كتاب اللَّه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء المحرومين، وقسم هذا الفيء بين أهله بالسواء، ورد الظالمين، وإقفال المجمر ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقنا"[4].

ثم إن زيداً اتفق مع أصحابه الذي بايعوه على الخروج على موعد لإعلان الثورة، والخروج على الدولة الأموية، فعلم يوسف بن عمر بذلك، وأخذ يضايق زيد ويلح في طلبه، حتى اضطر زيد إلى أن يعلن الثورة قبل موعدها المحدد، ولعل ذلك كان أحد الأسباب التي أفشلت الثورة، هذا بالإضافة إلى تخلي العراقيين عنه، وانفضاضهم من حوله على خلفية الموقف من أبي بكر وعمر، فقالوا: رحمك الله! ما قولك في أبي بكر وعمر؟ قال زيد: رحمهما الله وغفر لهما، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما ولا يقول فيهما إلا خيراً، قالوا: فلم تطلب إذا بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبنا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم! فقال لهم زيد: إن أشد ما أقول فيما ذكرتم إنا كنا أحق بسلطان رسول الله ص من الناس أجمعين، وإن القوم استأثروا علينا، ودفعونا عنه، ولم يبلغ ذلك عندنا بهم كفرا، قد ولوا فعدلوا في الناس،

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص255.

(2) جرجان مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، وهى قطعتان إحداهما المدينة والأخرى بكرآباذ، وبينهما نهر كبير يحتمل جرى السفن فيه. الحموي، معجم البلدان، ج2، ص119.

(3) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص132.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص172.

وعملوا بالكتاب والسنة قالوا: فلم يظلمك هؤلاء! وان كان أولئك لم يظلموك، فلم تدعو إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين! فقال: وان هؤلاء ليسوا كأولئك، إن هؤلاء ظالمون لي ولكم ولأنفسهم، وإنما ندعوكم إلى كتاب الله وسنه نبيه صلى الله عليه وسلم، وإلى السنن أن تحيا، وإلى البدع أن تطفأ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم، وإن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل ففارقوه ونكثوا بيعته، وقالوا: سبق الإمام- وكانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام، وكان قد مات، فقالوا: جعفر امامنا اليوم بعد أبيه، وهو أحق بالأمر بعد أبيه، ولا نتبع زيد بْن علي فليس بإمام فسماهم زيد الرافضة[1].

كما أن يوسف بن عمر حاصر أهل الكوفة في المسجد ومنعهم من الخروج، وذلك خوفاً من الانضمام لزيد في ثورته، وظل زيد في عدد قليل من جماعته الذين عاهدوه وصدقوا معه، فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلاً، فقال زيد: سبحان الله! أين الناس! فقيل له: هم في المسجد الأعظم محصورون، فقال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر[2]، وقاتل قتالاً مستميتاً ولكن شجاعته وبسالته لم تنفعه مع قوة يوسف بن عمر ومساندة أهل الشام له، فجاءه سهم فأصاب جبينه فطلب حدّاداً فنزع السّهم من جبينه فكانت فيه نفسه فمات من ساعته، فحفر له أصحابه قبراً في ساقية ودفنوه فيه وأجروا الماء على قبره خوفاً أن يمثّلوا به، فلما استظهر يوسف بن عمر أمير الكوفة تطلّب قبر زيد فلم يعرفه، فدلّه عليه بعض العبيد فنبشه وأخرجه فصلبه، فبقي مدّة مصلوباً، ثم أحرق وذرّ رماده في الفرات[3].

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص181.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص182.

(3) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص132.

ثانياً: ثورة يزيد بن المهلب بن أبي صفرة 102هـ/ 720م

يزيد هو ابن ذلك القائد الذي اشتهر بمقاتلته للخوارج، وهو المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي، نشأ بالبصرة، وقدم المدينة مع أبيه في أيام عمر، وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، وفقئت عينه بسمرقند، وانتدب لقتال الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنه يكون له التصرف في خراجه تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاماً لقي فيها منهم الأهوال، وأخيراً تم له الظفر بهم فقتل كثيرين وشرد بقيتهم في البلاد، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خراسان، فقدمها سنة 79هـ/698م ومات فيها، كان شعاره في الحرب: (حم لا ينصرون) وهو أول من اتخذ الركب من الحديد – وكانت قبل ذلك تعمل من الخشب – وأخباره مشهورة وكثيرة[1]، وكان من أبناء المهلب يزيد، الذي خلف أباه في سيادة أسرة المهلب، وتولى إمارة خراسان بعد أن توفي أبوه في سنة 83هـ/702م فبقي ما يقرب من ست سنوات[2]، وعزله عبد الملك بن مروان بإشارة من الحجاج[3]، وكان حينها أمير العراق كلها (الكوفة والبصرة)، وكان الحجاج يخشى بأسه، فاتّهمه بأموال وطالبه بها، وعجز عن سدادها، ثم قام بعزله من منصبه وحبسه، ولكنه تمكن من الفرار من السجن وهرب إلى الشام[4]، والتجأ إلى سليمان بن عبد الملك، حيث شفع له عند أخيه الخليفة الوليد بن عبد الملك، فعفى عنه، ولما أفضت الخلافة إلى سليمان بن عبد الملك، ولّاه العراق ثم خراسان، فعاد إليها، ويبدو أنه طلب من الخليفة نقله إلى خراسان، لمضايقة صاحب الخراج له حينها وهو صالح بن عبد بن عبد الرحمن، ومنع الأموال عنه التي يطلبها

---

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص350–359. انظر أيضاً ابن عبد ربه، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت328 هـ /940م) العقد الفريد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1984 .

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص355.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص397.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص448.

باستمرار، وفي هذه الأثناء افتتح جرجان وطبرستان[1]، ثم نقل إلى إمارة البصرة، وبعد وفاة سليمان بن عبد الملك وولاية عمر بن عبد العزيز للخلافة طولب يزيد بالأموال التي كان قد كتب بها إلى سليمان، ولكنه تعذّر بأنه لم يكن صادقاً في ذكره تلك الأموال، باعتبار أن الخليفة سليمان بن عبد الملك لم يكن يطالبه بها، ولكن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي عُرف عنه شدته في فرض الحق والعدالة ومراعاة حقوق الناس، رفض ذلك الاعتذار ولم يقبله، بل إنه أصر على أن يدفعها يزيد، وإلا فإنه سيضطر إلى حبسه حتى يدفع ما عليه من مال، وبالفعل جيء به إلى الشام وحُبس في حلب، ولم يبق في الحبس طويلاً إذ استطاع الهروب من الحبس، وفرّ إلى العراق، وتوجّه إلى البصرة، وفي هذه الأثناء كان الخليفة عمر بن عبد العزيز قد توفي وتولى الحكم يزيد بن عبد الملك[2]، فأرسل واليه على البصرة عدي بن أرطأة ووالياه على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن، بأن يستعدّا ليزيد، وأن يأخذ من في البصرة من أهله، وأمر يزيد بن عبد الملك عدي بن أرطأة أن يمنع يزيد بن المهلب من دخول البصرة، فجمع عدي أهل البصرة ليمنع يزيد بن المهلب من دخولها، ولكن أهل البصرة أفسحوا له الطريق، وأظهروا له كل التأييد والدعم والسير معه، ولكن يزيد لم يشأ أن يظهر خروجه على الدولة إلا بعد أن يطمئن إلى التفاف الناس حوله، ويتأكد من تأييدهم له، فطلب من عدي بن أرطأة أن يخرج من كان في سجنه من أهله وأقاربه، ثم أخذ يعمل جاهداً على جمع أهل البصرة، فكان يوزع عليهم قطع الفضة والذهب فتبعه جمع كثير منهم[3]، ثم سعى على إخراج عدي بن أرطأة من المدينة فتمّ له ما أراد، ولم يهتم للأمان الذي أرسله له يزيد بن عبد الملك، بل إنه تعدى ذلك بكثير فقد أعلن عن خلع الخليفة يزيد بن عبد الملك ورام الخلافة

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص516. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص285.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص564.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص580.

لنفسه، فجاءته إحدى حظاياه وقبّلت الأرض بين يديه وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فأنشدها:

رويدك حتى تنظري عم تنجلي ... عماية هذا العارض المتألق[1]

وقد تقارب يزيد من البصرة فنزل على مرحلة منها، ثم بعث إلى عدي بن أرطاة: أيها الأمير! إنك حبست إخوتي ومالي وأهل بيتي بلا ذنب كان منهم إليك وذلك أني أنا المطلوب فأخرجهم من حبسك، وأنا أصالحك على أني لا أدخل البصرة ولا أقربها وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي الأمان من أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، فرفض ذلك عدي بن أرطاة ولم يقبل ذلك منه، وأخذ سادات أهل البصرة يخرجون إلى يزيد بن المهلب، وكلما أتاه واحد منهم أحسن إليه ومنّاه حتى صار في قريب من ثلاثة آلاف، وقعد عامة أهل البصرة في منازلهم ممن كان يهوى يزيد بن المهلب، حتى بقي عدي بن أرطاة في أصحابه الذين قدموا معه من الشام ونفر يسير من قيس غيلان وبني تميم، وعزم عدي بن أرطاة على محاربة يزيد بن المهلب[2]، وفي مسيره إلى البصرة يقول الشاعر:

وسار ابن المهلب لم يعرج وعرس ذو القطيفة من كنانه

وياسر والتياسر كان حزما ولم يقرب قصور القطقطانه[3]

وبايع يزيد بن المهلب أهل البصرة، وكانت البيعة التي أعطاها لهم أن يسير بهم على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وعلى أن لا يغادر الجنود بلادهم ولا بيضتهم، ولا يعاد عليهم سيرة الحجاج الفاسق[4]، وجاءت مبايعة أهل البصرة له بشكل قوي حيث أنهم لم

(1) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص303.

(2) ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314 هـ /926م) الفتوح، ط1، ج8، تحقيق علي شيري دار الأضواء، بيروت 1991 ص217-218.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص579.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص580.

يأبهوا أو يستمعوا لرأي الحسن البصري الذي كان مثبّطاً، إذ كان لا يرى رأيهم في الخـــروج مع يزيد بن المهلب، وقد ورد نص لدى ابن مسكويه في كتابه تجارب الأمم وتعاقــب الهمــم لمروان بن المهلب شقيق يزيد يستنكر فيه على الحسن البصري هذا الموقــف فيقــول: " لقــد بلغني أنّ هذا الشيخ الضالّ المرائي- ولم يسمّه- يثبّط عنا الناس، والله لو أن جاره نزع مــن خصّ[1] داره قصبة لظلّ يرعف أنفه، وينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب حقّنا وأن ننكر مظلمتنا! أما والله، ليكفّنّ عن ذكرنا، أو عن جمعه سقّاط الأبلّة وعلــوج فــرات البصــرة، أو لأنحينّ عليه مبرداً خشناً "[2]، وعندما بلغ هذا الكلام مسامع الحسن البصري قال: " والله مــا أكره أن يكرمني الله بهوانه فقال ناس من أصحابه: لو أرادك ثم شئت لمنعناك، فقال لهم: فقــد خالفتكم إذاً إلى ما نهيتكم عنه! آمركم ألا يقتل بعضكم بعضاً مع غيري، وأدعوكم إلى أن يقتل بعضكم بعضاً دوني! فبلغ ذلك مروان بن المهلب، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقــوا ولم يدع الحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب[3].

ومع ذلك ظل الحسن يخذل الناس عن المشاركة في هذه الثــورة ومــا ورد قولــه: " (كان بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون يسرّح بها إلى بنى مروان، يريــد بهــلاك هؤلاء رضاهم) فلمّا غضب نصب قصباً ووضع عليه خرقاً وقال: قد خالفت هؤلاء، فخالفوهم .....) [4].

---

(1) الخصّ: البيت من قصب أو شجر، البيت يسقف عليه بخشبة كالأزج: البيت يبنى طولاً. ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت458هـ/1065م) المحكم والمحيط الأعظم، ط1، ج4، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2000 ص499.

(2) مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421 هـ /1030م) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ط2، ج2، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران 2000 ص483.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص594.

(4) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج2، ص478.

وخطب يزيد بن المهلب في أهل البصرة يدعوهم إلى كتاب الله وسنة نبيه، ويحثّهم على الجهاد، ويدّعي برأيه أن جهاد أهل الشام أعظم ثواباً عند الله من جهاد الترك والديلم[1]، وكان النضر بن أنس بن مالك بجانب يزيد، وعقّب على حديث يزيد وأشار إلى ما كان يلاقيه أهل البصرة من حكم الأمويين، وأنهم قد ابتعدوا عن الدين ونبذوه وراء ظهورهم فقال: " يا عباد الله، ما تنقمون من أن تجيبوا إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم! فو الله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلا هذه الأيام من إمارة عمر بن عبد العزيز....." [2].

ولم تكن البصرة وحدها قد أعطت البيعة ليزيد، فهناك أعداد كبيرة من المتذمّرين من أهل العراق، وهؤلاء كانوا ينتظرون أن تسنح هذه الفرصة للوثوب والثورة على الدولة الأموية والثأر منها، فقد أخذ البيعة من عدد من زعماء الكوفة، وانضووا تحت لوائه منهم اسحق بن محمد بن الأشعث والنعمان بن إبراهيم بن الأشتر، كما أن حركته هذه شملت البحرين والبصرة وعمان والجزيرة، ثم إن يزيد خرج من البصرة، واستعمل عليها مروان بن المهلب، وخرج معه بالسلاح وبيت المال، فأقبل حتى نزل واسطاً، وقد استشار أصحابه حين توجه نحو واسط، فقال: هاتوا الرأي، فإن أهل الشام قد نهضوا إليكم، وقد أشار إليه أحد القادة أن ينزل بفارس، فيأخذ الشعاب والعقاب، ويدنو من خراسان، حتى يأتيه المدد من أهل الجبال ويمتلك القلاع والحصون[3]، ولكنه لم يأخذ بهذا الرأي بل قرر الثورة والخروج لملاقاة الجيش الأموي دون الحاجة إلى هذه الخطة، عندئذ اضطر الخليفة يزيد بن عبد الملك أن يرسل جيشاً بقيادة مسلمة بن عبد الملك، فخرج يزيد لملاقاة يزيد بن المهلب لمواجهة جيش مسلمة، وخطب يزيد في جيشه حين نزل واسط بالعراق فقال: " يا أهل العراق، يا أصحاب السبق

(1) ابن أعثم، الفتوح، ج8، ص221.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص587.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص588.

والسباق، ومكارم الأخلاق، إن أهل الشام في أفواههم لقمة دسمة قد زينت لها الأشداق، وقاموا لها على ساق، وهم غير تاركيها لكم بالمراء والجدال، فالبسوا لهم جلودا النمر"[1]، فهو بهذه الخطبة يبين لهم أن العراق منتقص الحقوق مقارنه ببلاد الشام التي يتمتع أهلها بالامتيازات، ولا يتخلون عنها بسهولة.

وكان أن التقى الجيشان في العقر، وهي عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة[2]، وذلك سنة 102 هـ / 720م، ولم يخرج أهل الكوفة كعادتهم لنصرة يزيد بن المهلب ودارت رحى الحرب وانتصر جيش مسلمة بن عبد الملك، وسقط يزيد بن المهلب قتيلاً في أرض المعركة بعد أن تخلى عنه أهل العراق، ويبدو أنه لم يشأ أن يتشبّه بعبد الرحمن بن الأشعث فلم يهرب من أرض المعركة، بل إنه ظل يقاتل حتى قُتل، وهرب أولاده وإخوته وأهله نحو الشرق فتعقّبهم الجيش الأموي وقتل منهم عدداً كبيراً، حتى الصغر لم ينجوا من القتل، وأقسم الخليفة أن يبيع النساء منهن، فاشتراهم أحد خاصّته ودفع ثمنهم للخليفة، ولكنه تراجع عن ذلك وأطلقهم كرامةً لهذا البيت الذي قدّم الكثير للدولة الأموية وخدمها لفترة طويلة من الزمن.

ومن الملاحظ أن ثورة يزيد بن المهلب بدت للوهلة الأولى ثورة شخصية اختلطت بها نزعة استقلالية من جانب أهل العراق الذين ألفوا الثورات على الدولة الأموية، فكان يزيد يرمي من وراء ذلك الوصول للسلطة، وهو كما قال عنه يزيد بن عبد الملك لما أحضروا رأسه إليه : " إن يزيد ركب عظيماً، وطلب جسيماً، ومات كريماً "[3]، ولم نلحظ في هذه

---

(1) الرزاي، منصور بن الحسين (ت421 هـ /1030م) نثر الدر في المحاضرات، ط1، ج5، تحقيق خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية، بيروت 2004 ص48.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص136.

(3) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج2، ص335.

الثورة أية ميول شيعية، فكانت مشاركة أهل الكوفة خجلة متواضعة، مع أنه عُرف عن أهل الكوفة ميلهم الشديد للتخلص من الأمويين واعتبار الحرب معهم جهاد في سبيل الله تعالى.

ومن طريق القول أن نذكر ما قاله الفرزدق في عاتكة بنت عمرو بن يزيد الأسدي زوج يزيد بن المهلب:

إذا ما المزونيات أصبحن حسراً وبكين أشلاء على عقر بابل

وكم طالب بنت الملاءة أنها تذكر ريعان الشباب المزايل[1]

ثالثاً: ثورة شوذب الخارجي100هـ/718م:

واسمه بسطام اليشكري ثار على الدولة الأموية باسم الخوارج زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز سنة 100 هـ /718م وكان بأرض جوخا من أرض السواد في ثمانين رجلاً، وكان العامل على الكوفة يومئذ عبد الحميد بن عبد الرحمن، فبعث إليه عمر أن يرسل إليهم جيشاً بقيادة محمد بن جرير بن عبد الله البجلي، فسيّره في ألفين وأمره عمر بن عبد العزيز أن لا يحاربهم إلا أن يسفكوا دماً أو يحلّوا حراماً، وأرسل إليهم كتاباً يطلب إليهم أشخاصاً ليناظرهم، وكتب عمر إلى شوذب " أنه بلغني أنك خرجت غضبا لله ولنبيه، ولست بأولى بذلك مني، فهلم أناظرك فإن كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس، وإن كان في يدك نظرنا في أمرنا فلم يحرك بسطام شيئا"[2]، واستجاب شوذب لطلب عمر فبعث إليه أشخاصاً وتأخرت الحرب انتظاراً لنتيجة المناظرة[3].

---

(1) الصفدي، الوافي بالوفيات، ج26، ص38.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص556.

(3) يقول ابن الجوزي في المنتظم : (فدخلا عليه فقالا: أخبرنا عن يزيد لم تعده خليفة بعدك؟ قال: صيره غيري، قالا: أفرأيت لو وليت مالاً لغيرك، ثم وكلته إلى غير مأمون عليه، أترك كنت أديت الأمانة إلى من ائتمنك؟ فقال: أنظراني ثلاثاً، فخرجا من عنده، وخاف بنو مروان أن يخرج ما في أيديهم من الأموال، وأن يخلع يزيداً، فدسوا إليه من سقاه سماً، فلم يلبث بعد خروجهما إلا ثلاثاً حتى مات.....).

ويبدو أن غاية عمر بن عبد العزيز كانت حقن دماء المسلمين ومنع حدوث الحرب، وأن يأتي عدوه عن طريق السلم والمفاوضة لعله يصل إلى مراده دون سفك الدماء، وكاد عمر أن يقنع الخوارج رسل شوذب لولا عاجلته المنية، فلما وصل خبر وفاته إلى الوالي عبد الحميد بن عبد الرحمن عامل الكوفة أرسل إلى قائد جيشه يأمره بمحاربة الخوارج، فهو يريد عملاً يتقرب به إلى الخليفة الجديد يزيد بن عبد الملك الذي خلف عمر، ولما رأى شوذب جاهزية جيش محمد بن جرير البجلي للقتال ولم يكن يعلم بوفاة عمر بن عبد العزيز قال : لقد مات الرجل الصالح[1].

ثم تقابل الخوارج مع محمد بن جرير البجلي وتمكنوا من الانتصار عليه ولحقوا به حتى اخصاص الكوفة[2]، فخشي أهل الكوفة من اقتراب الخوارج منهم، عندئذ فزعوا إلى القائد مسلمة بن عبد الملك الذي كان في الكوفة بعد مقتل يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، فأرسل جيشاً كان عدده عشرة آلاف بقيادة عمرو بن حريث حيث تمكن من القضاء على شوذب وقتله وقتل أصحابه أيضاً[3].

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597 هـ /1200م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، ط1، ج، دار الكتب بيروت، لبنان 1992 ص54.

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص576.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص121.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص121.

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني

المبحث الأول: الزراعة

الزراعة: لقي العراق عناية كبيرة من الخلفاء الأمويين، سواءً اللاحقين أم المتأخرين، فاهتموا باستصلاح الأراضي وجلبوا المزارعين إلى العراق، واعتنوا بالبطائح وتجفيفها، وكانت البطائح مشكلة العراق الزراعية الكبرى، واعتنى الولاة أيضاً بمشاريع الري عناية كبيرة، فأمروا بحفر الأنهار وشق القنوات، وإقامة القناطر والجسور، وإنشاء السدود لمكافحة الفيضانات، وحجز مياهها عن غمر الأراضي القريبة من النهر، تشير المصادر التاريخية إلى أن الحجاج مثلاً كان ينفق أموالاً طائلة في سبيل ذلك فيقول البلاذري مثلاً: " انبثقت البثوق أيام الحجاج فكتب الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك يعلمه: أنه قدر لسدها ثلاثة آلاف ألف درهم فاستكثرها الوليد، فقال له مسلمة بن عبد الملك: أنا أنفق عليها على أن تقطعني الأرضين المنخفضة التي يبقى فيها الماء بعد انفاق ثلاثة آلاف ألف درهم يتولى إنفاقها ثقتك ونصيحك الحجاج فأجابه إلى ذلك فحصلت له أرضون من طساسيج[1] متصلة فخفر السيبين وتألف الأكره والمزارعين وعمر تلك الأرضين وألجأ الناس إليها ضياعا كثيرة للتغزز به" [2]، واهتم الأمراء الذين جاؤوا بعد الحجاج بشؤون الأرض والزراعة والري أيضاً، فعمر بن هبيرة قام بمسح السواد سنة 105 هـ /723م، وقد ذكرت المصادر أن هذه هي المرة الثانية

---

(1) طساسيج: جمع مفرده: طسّوج، أي المحلة والناحية، وطسّوج تعريب ل (تسو). الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية، ط1، ج1، دار القلم، دمشق 1996 ص111.

(2) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت279 هـ /892م) فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1988 ص288.

منذ مسحه عثمان بن حنيف وحذيفة بن اليمان في خلافة عمر بن الخطاب[1]، وعلى ما أن هذا المسح كان دقيقاً، يدل على ذلك أن العباسيين كانوا يأخذون بمسح ابن هبيرة، حتى زمن اليعقوبي المتوفي بنهاية القرن الثالث للهجرة/ التاسع الميلادي[2]، كما أن عمر بن هبيرة أقام القناطر في أراضي السواد لدرء الفيضانات[3]، ويبدو أن هذا كان توجيهاً من الخليفة يزيد الثاني (101-105 هـ /719-723م) فقد اعتنى بشؤون الزراعة وأمر واليه عمر بن هبيرة بالمسح[4]، وعندما جاء الخليفة هشام بن عبد الملك شجّع واليه خالد بن عبد الله القسري على الاهتمام بالزراعة، فحفر الأنهار مثل نهري المبارك والصلح في واسط، وأقام السدود، فبنى سداً على دجلة بالقرب من مدينة الكوت، وذلك لرفع منسوب المياه في هذا النهر للاستفادة منها في المشاريع الزراعية، وأقام القناطر في منطقة السواد، ثم قام بتجفيف المستنقعات في منطقة البطائح[5]، وعليه فقد كثرت الغلات وتنوعت المحاصيل الزراعية من الفواكه والثمار، والحبوب والخضروات، والبقول والأزهار والرياحين[6].

فالبصرة تعد من أهم الأماكن لزراعة النخيل، وهي تنتج أنواعاً متنوعة من التمور، لا مثيل لها في أي بلد من البلاد، فيقول الجاحظ : " ولم نر بلدة قط تكون أسعارها ممكنة مع كثرة الجماجم بها إلا البصرة: طعامهم أجود الطعام، وسعرهم

---

(1) اليعقوبي، أحمد بن اسحق(ت292 هـ /905م) تاريخ اليعقوبي، ج2، دار صادر، بيروت 1970 ص313.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص313.

(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص351.

(4) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج2، ص313.

(5) لبيد، إبراهيم أحمد وآخرون، الدولة العربية في العصر الأموي، بغداد 1962 ص265.

(6) الأعظمي، عواد، الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام، مطبعة الجامعة، بغداد 1978. عودات، أحمد عبد الله، الحياة الاقتصادية في العراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، مجلة المؤرخ العربي، ع34، 1988 ص218.

أرخص الاسعار، وتمرهم أكثر التمور، وريع دبسهم أكثر، وعلى طول الزمان أصبر، يبقى تمرهم الشهريز عشرين سنة.... [1]، وأشهر أنواع التمور في البصرة كما يقول ابن الفقيه: " البرني والقريتا وما أعلمهما في بلد أكثر منها بالبصرة"[2]، وتأتي التمور في مقدمة السلع التي كانت تنتجها البصرة إلى أسواق كثيرة من مدن العراق وضواحيه، فقد كانت سوق التمارين من الأسواق النشيطة في مدينة البصرة[3]، كما أن هناك زراعة النارنج، وقد تميز ما يزرع فيها على البلاد الأخرى، واشتهرت أيضاً زراعة السمسم والقطن[4]، وكانت مدينة البصرة مشهورة بجودة برتقالها وليمونها وزرع فيها الخوخ وقصب السكر، وكانت من أشهر الأماكن بصناعة السكر في العراق، وأيضاً هناك زراعة الرز الذي كان مصدراً رئيساً للخبز[5].

وإن انتقلنا للكوفة فهي أيضاً قد اشتهرت بإنتاج مجموعة من المحاصيل الزراعية، كالحنطة والشعير، وأكثر ما كانت تُزرع هذه المحاصيل في أرض السواد، ومن المحاصيل الأخرى التي تميزت بها الكوفة أيضاً محصول الرز، وكانت أرض السواد مركزاً مهماً لزراعته[6]، المنتشرة في الأراضي المنخفضة والأهوار بالقرب من الكوفة، وعلى قنوات

---

(1) الجاحظ، عمرو بن بحر(ت255 هـ/869م) الرسائل السياسية، ط1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1991 ص18.

(2) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص171.

(3) العلي، صالح، خطط البصرة ومنطقتها، مطبعة المجمع العلمي، بغداد 1986 ص127.

(4) الكبيسي، حمدان عبد المجيد وآخرون، المدينة والحياة المدنية، ج2، دار الحرية، بغداد 1988 ص183.

(5) العلي، خطط البصرة ومنطقتها، ص33-34.

(6) الزبيدي، محمد حسين، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، المطبعة العالمية، القاهرة 1970 ص141.

الفرات الأسفل ونهر الصراة، ونهر النيل وفي منطقة البطيحة أيضاً[1]، كما اشتهرت الكوفة كذلك بزراعة السمسم والذرة والماش والعدس والدخن[2]، وتصدّر الكوفة أيضاً إلى سائر أسواق مدن العراق الفاكهة والزيوت المستخرجة من بذور القطن والكتّان والسمسم وكان للزياتين سوق كبيرة بالقرب من قصر الإمارة[3].

وبطبيعة الحال فإن الكوفة بما أنها جزء من العراق فإنها ستشتهر بزراعة النخيل، فامتدت زراعة الخيل فيها حتى مدينة القادسية، وشمالاً حتى مدينة الأنبار وهيت[4]، والتمر كان أيضاً عنصراً أساسياً في تجارة مدينة الكوفة، فقد كان للتمارين سوق خاص بهذه المدينة أيضاً كما هو الحال في البصرة[5].

وانتشرت أيضاً زراعة الفواكه في الكوفة، وكان العنب من أكثرها وأشهرها، وقد تعدّدت أنواعها وأصنافها، منها عنب دير العاقول، عكبرا وسروج وحلوان وغيرها، ويُذكر أن الأمير مغيرة بن شعبة تنبّه إلى زيادة إنتاج العراق من الفواكه، وأن هذا الإنتاج زاد على إنتاج الحنطة والشعير[6]، واشتهرت الكوفة ببساتينها الجميلة وكانت تحيط بها من جميع الجهات، ومن أشهر البساتين ذلك المسمى بستان زائدة، ويقع في السبخة، وهي ضاحية من ضواحي الكوفة، كما أن الأديرة التي بُنيت في أطراف الكوفة تم تشجيرها وزراعتها، فتميزت بأشجارها الباسقة، وثمارها اليانعة وأزهارها الجميلة، وقد وصف الشابشتي واحداً من أديرة الكوفة ويعرف بدير مر ماري السليح وصفاً مميزاً فقال: " وهذا الدير، على ستة عشر فرسخاً

---

(1) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص141.
(2) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص142.
(3) الكبيسي، المدينة والحياة المدنية، ج2، ص184.
(4) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص142.
(5) الكبيسي، المدينة والحياة المدنية، ج2، ص184.
(6) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص142.

من بغداد، منحدراً في الجانب الشرقي، بينه وبين دجلة ميل ونصف، وبينه وبين دير العاقول بريد، وهو دير حسن، نزه، عامر، وفيه مائة قلاية لرهبانه والمتبتلين فيه، لكل راهب قلاية، وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من ألف دينار إلى مائتي دينار إلى خمسين ديناراً، وحول كل قلاية بستان، فيه من جميع الثمار والنخل والزيتون، وتباع غلته من مائتي دينار إلى خمسين ديناراً، وعليه سور عظيم يحيط به، وفي وسطه نهر جار"[1].

كما زرعت أنواع من الزهور والرياحين وبها عُرفت الكوفة، وكان من أشهرها البنفسج، والزئبق الأبيض، والنرجس، والورد الجوري، والعذارى والأقحوان، والشيح والقيصوم والخزامى والياسمين وغيرها الكثير، وكانت الأديرة مركزاً لزراعة الورود والرياحين أيضاً[2].

أما مدينة واسط فقد امتازت أرضها بالخصب والرخاء والاستواء وتوفّر المياه، فأراضي هذه المدينة تُرى بمياه نهر دجلة والفرات، ومن هذين النهرين استفاد المزارعون في إرواء مزروعاتهم، فضلاً عن الأنهار والترع والقنوات التي حفرها أمراء واسط في هذه المدينة[3]، فاشتهرت واسط بزراعة الحنطة والشعير، حتى أن سكّانها يدفعون الخراج من الغلات كبديل عن النقد[4]، فكسكر وهي إحدى نواحي واسط اشتهرت بزراعة الحنطة والشعير، وكان سكانها يدفعون خراجهم من الغلات بدلاً من النقد، يقول ابن خرداذبة: "كورة كسكر وفيها نهر الصلة وبرقة والرّيّان كان يرتفع فيها من خراجها وسائر أبواب مالها سبعون ألف ألف

---

(1) الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت388 هـ /998م) الديارات، ط3، تحقيق كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت 1986 ص64.

(2) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص142.

(3) المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر الأموي، ط1، دار الحرية، بغداد، 1976 ص398.

(4) المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، ص399.

درهم تقديرها من الحنطة ثلاثة آلاف كرّ[1]، ومن الشعير والأرز عشرون ألف كر، ومن الورق مائتا ألف درهم"[2]، ويذكر الحموي في كتابه معجم البلدان أن عمران بن حطان سمع قوماً من أهل البصرة أو الكوفة يقولون: ما لنا وللخروج وأرزاقنا دارة وأعطياتنا جارية وفقرنا نائم، فقال عمران بن حطان:

فلو بعثت بعض اليهود عليهم ... تؤمهم أو بعض من قد تنصرا

لقالوا: رضينا إن أقمت عطاءنا ... وأجريت ما قد سن من بر كسكرا[3]

وذكر البلاذري أن الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر واليه على البصرة عدي بن أرطاة أن يطعم الفقراء من طعام كسكر والسواد[4].

ومن غلاتها أيضاً محصول الرز، الذي كان يُنتج بكميات كبيرة من في هذه المدينة، فيذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أنه كان الغذاء الرئيس لسكانها فقد كانوا يصنعون منه الخبز[5]، وتعتبر واسط من أكبر مراكز إنتاج النخيل في العراق، ولا بد أنها كانت تُنتج أنواعاً مختلفة منها، وكان أهل مدينة واسط يحتفلون بقدوم أول سفينة تحمل التمور الجيدة إلي أسواقها، وقد أشار إلى ذلك المقدسي فقال: " وإذا كان بوقت حمل التمر الحديث الى واسط نظر أوّل سفينة تضل فيزيّن لها ذلك البيّع الشطّ الى دكّانه بالأنماط والستور، ويجعلون على

(1) الكر ستون قفيزاً، والقفيز ثمانية مكاكيك، والمكوك صاع ونصف، وهو ثلاث كيلجات. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711 هـ /1311م) لسان العرب، ط3، ج5، دار صادر، بيروت 1994 ص137.

(2) ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت280 هـ /893م) المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت 1889 ص12.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص461.

(4) البلاذري، أنساب الأشراف، ج8، ص156.

(5) المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، ص400.

جنائز النساء قباباً عالية وحشة"[1]، ومن أشهر قرى واسط قرية خسراوية التي عُرفت بجودة الرمان الذي زُرع فيها، كما اشتهرت واسط ببساتينها الكثيرة، ولا بد أن هذه البساتين كانت تحوي أنواعاً متعددة من الفواكه، فقد ذكر أبو يوسف أنه كان يُنتج في السواد الرطب والعنب، كما وصف ابن حوقل هذه المنطقة بأنها كثيرة الأشجار[2]، ولا ننسى زراعة الأزهار والرياحين مثل الورود، والياسمين والبنفسج، وكان أهل العراق يحتفون بهذا النوع من الزهور، فيجمّلون به رؤوسهم ويدورون به في الشوارع والأسواق، واشتهرت مدينة واسط بالياسمين والنرجس والريحان، وتميزت بنوع من الورود يسمى الخطمى، وهو قريب من نوع اسمة الختمة في العراق[3]، أما الموصل فهي الأخرى كانت تشتهر بإنتاج القمح والشعير والدقيق، وغيرها من المواد الغذائية، كما عُرفت بغاباتها الكثيرة، وكانت كثير من مدن العراق تعتمد على ما كانت تنتجه الموصل من محاصيل زراعية كالقمح والشعير والدقيق والفواكه، هذا بالإضافة إلى تصديرها الأخشاب إلى مدن كثيرة أيضاً[4].

المبحث الثاني: التجارة

إنه من الطبيعي أن يؤدي ازدهار الزراعة والصناعة إلى ازدهار التجارة، حيث أن التجارة عنصر هام من عناصر الحياة الاقتصادية، ونشاطها دليل على تقدم الدولة وازدهارها، وعامل من عوامل ذلك الازدهار[5]، ونشطت تجارة العراق الداخلية في بداية القرن الأول

---

(1) المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت380 هـ /990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991 ص129.

(2) ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي (ت367 هـ /977م) المسالك والممالك، . المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، ص400.

(3) المعاضيدي، واسط في العصر الأموي، ص400.

(4) الأعظمي، الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام، ج5، ص273

(5) الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب (ت255 هـ /869م) البيان والتبيين، ج1، دار ومكتبة الهلال، بيروت 2003 ص181.

الهجري/التاسع الميلادي، وعمل الولاة كل ما من شأنه تحقيق ذلك النشاط، فقد عملوا على توفير الأمن للقوافل التجارية، وأنشأوا الأسواق وسمحوا بتحويل الأراضي الخراجية التي خلت من أصحابها إلى أسواق معفاة من الخراج[1].

ولعل خبرة العناصر العربية التي دخلت الإسلام ونزحت من الحيرة إلى الكوفة قد عملت على دفع عجلة التجارة قدُماً إلى الأمام، كما أن إقبال العرب على المنتجات الجديدة وبالتحديد الملبوسات هو ما شجّع التجار على توفيرها وعرضها في الأسواق التي انتشرت في المدن الكثيرة التي أسسها العرب في الأقاليم لهذه الغاية[2]، فراجت التجارة فيها، وهو الأمر الذي ترتب عليه هجرة الفلاحين إلى المدن، فتركوا العمل الزراعي، فاضطرت الدولة الأموية على إرغامهم على العودة إلى قراهم والعمل في الزراعة[3].

وعلى الرغم من أن التحول الاجتماعي تمثل في تخلي القبائل العربية عن كثير من مفاهيم البداوة، ونزول أفرادها إلى العمل بالزراعة وامتلاك الأراضي، إلا أنهم لم يتخلوا عن عاداتهم وتقاليدهم الحضارية الاجتماعية، لم تتكون دفعة واحدة وإنما بشكل متباطئ وتدريجي[4]، فكان لبيئة العراق واستعداد العرب الفطري أثر في تحضرهم، إذ أن بيئة العراق هيّأت اختلاطهم بغيرهم من العناصر على اختلاف مهنهم ومستوياتهم[5]، وظلّوا يرتقون سلم الحضارة حتى بلغوا بها درجة رفيعة.

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص431.

(2) الباشا، حسن، دراسات في الحضارة الإسلامية، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة 1988 ص19.

(3) ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328 هـ /940م) العقد الفريد، ط1، ج3، دار الكتب العلمية، بيروت 1984 ص364.

(4) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1961 ص8.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ت808 هـ /1406م) ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ط2، ج3، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت 1988 ص177.

ولقد ساهمت جميع فئات المجتمع العراقي من عرب وأهل ذمة وموالي في تطوير الزراعة، وكان لخبرتهم في ميدان الزراعة أثر في تنشيط الحركة التجارية[1]، وبما أن التجارة الداخلية في العراق أصبحت متقدمة فقد استخدم الأمويون النظم التجارية المتطورة، فكانوا يتعاملون بالعقود في البيع والشراء انسجاماً مع التعاليم الدينية، وعرفوا المصارف واهتموا بشروط التجارة وخاصة عقود الرهن والودائع ونظام المقايضة، وانتشرت المصارف في المدن النواحي، وربما كانت المهاجرة من الحيرة إلى الكوفة والبصرة تشكّل معظم القائمين بهذا الأمر.

وفي هذا العهد ظهرت الحوانيت المالية وهي أشبه ما تكون بالبنوك، حيث امتلكها الأغنياء وانتشرت لها فروع في المدن خاصة في الكوفة والبصرة[2]، وأيضاً نجد أن التجار استخدموا الحوالات وتعاملوا بالشك لدفع النقود[3]، وعرفوا الصكوك عند التداين[4]، وأفادوا منه كوثيقة تملّك، ويعود الفضل في نشرها إلى العنصر غير العربي الذي عرفوا المعاملات في بلدانهم في أوقات سابقة للعهد الإسلامي، فساهمت هذه العمليات في زيادة المردود الاقتصادي وارتفاع الدخل.

وساعد على تطور التجارة أيضاً انتشار الطرق النهرية، التي قضت على كثير من المشاكل، حيث الطرق المائية أسرع وأقل تكلفة، وأكثر أمناً من الطرق البرية، ناهيك عن عدم تعرض التجارة للتلف بسبب الحرارة الشديدة، وأشهر الطرق النهرية ما كانت توصل إلى

---

(1) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص191.

(2) العلي، صالح، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، دار الطليعة، بيروت 1962 ص295.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج4، ص213.

(4) الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) الأغاني، ج3، مكتبة إحياء التراث العربي، بيروت 1994 ص101.

البصرة، كطريق أبي الأسد ومعقل، وطريق نهر مرة، وطريق نهر ابن عمر[1]، بالإضافة إلى الجزر التي وجدت في دجلة والفرات واتخذت كمحطات للسفن[2]، وكذلك الجسور التي أقيمت لعبور القوافل التجارية[3]، أم الطرق البرية فكانت أكثر انتشاراً من السابقة، إذ ربطت أنحاء العراق مع بعضها البعض، فكان هناك طريق بين الكوفة والبصرة، وأخرى بين واسط والأهواز[4]، وغيرها بين واسط والمدن العراقية المختلفة[5]، ولعل ذلك ما جعل من واسط مركزاً تجارياً هاماً.

ولم تكن الضرائب التي تفرض على التجار آنذاك باهظة، فقد أعفي صغار التجار منها تشجيعاً لهم وتخفيفاً من أعبائهم[6]، كما أعفي منها المواشي والزروع، التي ليست للتجارة، وكان الجباة يحصّلون الضرائب على الطرق البرية والنهرية، إلا أنهم كانوا يأخذون بأقوال التجار بثقة ودون مناقشة، كما تنوعت التجارة في هذا العهد، حيث عرفت مدن العراق تجارة المواد الغذائية، وانتشرت تجارة الحيوانات، وراجت تجارة الرقيق حيث الحاجة كانت شديدة إليهم للعمل في الزراعة والخدمة في المنازل، هذا إلى جانب تزايد أعداد الأسرى بسبب كثرة الحروب[7].

---

(1) ابن رسته، أحمد بن عمر (ت300 هـ /912م) الأعلاق النفيسة، د.ن. ليدن، هولندا 1967 ص185.
(2) أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت182 هـ /798م) الخراج، دار المعرفة، بيروت 1979 ص101.
(3) المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت380 هـ /990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991 ص118.
(4) ابن رسته، الأعلاق النفيسة، ص187.
(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص407.
(6) أبو يوسف، الخراج، 147.
(7) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص414.

واشتهرت بعض المدن العراقية بتجارة مواد أكثر من غيرها، فبينما كانت البصرة ميناء يشتهر باستخراج الحلي والعنبر، كانت الموصل المصدر الرئيس للأخشاب[1]، هذا في حين اشتهرت واسط بالتمر والبنفسج، والحيرة بالفاكهة والرياحين والخمور[2]، أما الكوفة فقد امتازت بتجارة الزيوت النباتية، حتى أنه كان للزيّاتين سوقاً خاصة بهم[3]، مثلما كان للتمارين للتمارين سوق مشابهة[4].

وكان مما تبايع الناس به بشكل كبير العمائم من الخز، وأنواع البنفسج الجيدة[5]، وبعد أن كان التجار يمارسون مهنهم حيثما شاؤوا، تم الاتفاق على أنه من الأنسب أن يتجمعوا في أسواق معينة، فكانت الأسواق مراكز للبيع والشراء ومكاناً لعقد الصفقات، وملتقى رجال القبائل ومراكز الحياة السياسية تدبّر فيها المؤامرات تحت ستار التجارة[6].

وهنا لا بد من التطرق للأسواق في العراق في هذه الفترة، لقد وضح لنا ابن خلدون معنى الأسواق فقال: " اعلم أن الأسواق كلها تشتمل على حاجات الناس فمنها الضروري وهي الأقوات من الحنطة وما معناها كالباقلاء والبصل والثوم وأشباهه ومنها الحاجي والكمالي مثل الأدم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني فإذا استبحر المصر وكثر ساكنه رخصت أسعار الضروري من القوت وما في معناه وغلت أسعار الكمالي من الأدم والفواكه وما يتبعها....." [7]، وقد تنوعت الأسواق في العراق بتنوع الأصناف التي تعرض فيها، فسوق المربد في البصرة كان من أشهر الأسواق العراقية، فهو من أقدم

(1) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص121.
(2) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص128.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص591.
(4) الأصبهاني، الأغاني، ج13، ص185.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص501.
(6) العلي، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص266.
(7) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، ص453.

الأسواق وأهمها، وقد نشطت فيه التجارة، وكان مركزاً أنشئت فيه بعض المصانع، وفي نفس الوقت ملتقى للمناقشات الفكرية والسياسية والأدبية، إلا أنه فقد أهميته مع تقدم الزمن، وبالتدريج تحول إلى أحياء سكنية[1]، وانتشرت الأسواق في أماكن مختلفة من البصرة، وكان لكل صنف سوق خاص به[2]، وتمثل الاهتمام بالأسواق في هذا العهد بكثرة ما أُنشئ من أسواق في المدن العراقية، فخالد القسري بنى الأسواق، وجعل لأصحاب كل تجارة داراً وطاقة، يقول البلاذري في ذلك: " وبنى خالد حوانيت أنشأها وجعل سقوفها أزاجا معقودة بالآجر والجص "[3]، ومثل ذلك بنى أخوه أسد بن عبد الله سوقاً بالكوفة سميت سوق أسد، كما كما أنشئت في واسط والموصل أسواق متخصصة، وخضعت الأسواق لمراقبة موظف خاص يعيّنه الأمير ومعه الأعوان، يساعدونه على القيام بواجباته والتي تتمثل بحراستها من اللصوص[4].

وكانت للأسواق دور كبير في الحركات السياسية والاضطرابات والفتن الداخلية، إذ يلتقي فيها المعارضون للنظام السياسي الحاكم، وذلك بدعوى البيع والشراء بعيداً عن أنظار الولاة والأمراء، فيدبّرون الفتن والمؤامرات[5]، فقد كانت سوق الكوفة مركزاً وبؤرةً للثورة على الحجاج بن يوسف الثقفي.

وكان يُراعى في اختيار أسماء الأسواق أمور كثيرة، فمثلاً كان هناك سوق الأربعاء في الموصل[6]، وهذا يدل على أن السوق كانت أصلاً أسبوعية، ولعلنا نضع احتمالاً آخر فنقول أنه كانت كثير من هذه الأسواق في بادئ الأمر دكاكيناً، لا تمتلئ بالبضاعة إلا في يوم الأربعاء، وهناك الأسواق التي كانت تسمى باسم الذي بناها، فسوق أسد سميت بذلك نسبة إلى

---

(1) العلي، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص266.
(2) العلي، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص267.
(3) البلاذري، فتوح البلدان، ص280.
(4) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص163.
(5) الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، ص163.
(6) ابن الأثير، محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت 630هـ/1232م)، الكامل في التاريخ، ج4، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1997 ص174.

أسد بن عبد الله القسري[1]، وسوق الحر نسبةً إلى الحر بن يوسف، وسوق عمر نسبةً إلى يوسف بن عمر أثناء خلافة هشام بن عبد الملك[2]، وذكر صاحب تاريخ واسط أن سوق أبي عيينة كانت تقع في الجهة الشرقية من مدينة واسط[3]، وهناك أيضاً سوق عبد الله وسوق عثمان وسوق بلال في البصرة[4].

وكان الغالب على الأسواق أن السوق يسمى باسم السلعة التي تغلب عليها، أو العمل الذي فيها، فالوالي خالد القسري صنّف الأسواق حسب عروض التجارة التي تعرض فيها كما مر سابقاً[5]، فالوالي رتّب الأسواق على أساس تخصيص السلع، فمن أسواق الكوفة المتخصصة سوق القلّائين وهو كما يبدو أنه تباع فيه اللحوم المقلية، وسوق الجزّارين كان الغالب فيه بيع اللحوم[6]، وكذلك النحّاسين والزيّاتين[7]، أما حوانيت الصيارفة فقد تجمّعت بالقرب من مسجد الكوفة، وهناك سوق لأصحاب التمر، وأصحاب السمك وسوق للإبل ولأصحاب الخبز[8].

المبحث الثالث: الصناعة والحرف

إن اختلاط العرب المسلمين بسكان البلاد المفتوحة، ودخول الخبرات الجديدة والمهارات الفنية المتنوعة في الدولة، واختلاف حاجات المجتمع أسهم في تطور الصناعة بشكل كبير، وإن إنشاء المدن والأمصار واستصلاح الأراضي الزراعية قد أدى بالضرورة

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص280.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص174.

(3) ابن بحشل، أسلم بن سهل بن أسلم (ت292 هـ /905م) تاريخ واسط، ط1، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت 1986 ص114.

(4) ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ط1، بيروت 2001 ص167-168.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص280.

(6) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص378.

(7) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص591.

(8) الشيخلي، صباح إبراهيم، الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها، ط1، دار الحرية، بغداد 1976 ص73.

إلى تطوير الصناعات المحلية فضلاً عن الصناعات اليدوية الأخرى[1]، وكان لاتساع الدولة وسهولة انتقال التجار، وموقع العراق المتوسط، وارتفاع دخول الأفراد أثر كبير في إقبال الناس على المنسوجات وشراء الألبسة، الأمر الذي ساعد على ازدهار الصناعة ونموها، ويبدو أن صناعة النسيج كانت من أهم الصناعات التي ظهرت في العراق في القرن الأول الهجري كما أنها تعد من أقدم الصناعات اليدوية.

وهناك أسواق جامعة تُعرض فيها مختلف البضائع والسلع التجارية، فمثلاً في سوق البصرة كان هناك سوق كبير تُباع فيه مختلف البضائع، مثل سوق المربد التي تعد من الأسواق الجامعة، وفي مدينة الكوفة سوق رئيسة يجتمع فيها عدد كبير من التجار الذين كانت تجاراتهم متنوعة، وفي مدينة واسط شيّدت سوق جامعة كانت تمتد من دار الإمارة التي تقع في وسط المدينة وحتى شاطئ نهر دجلة شرقاً، ثم تحولت بعض الدور إلى محلات تباع فيها السلع، ففي مدينة الكوفة كانت دار الوليد للقصارين، ودار عمر بن حريث لأصحاب الخز، ودار حكيم لأصحاب الأنماط، وتتميز هذه الدور بأنها مكان مستقر وثابت للبيع، ويمكن خزن السلع فيها، والتي كان يطلق عليها تسمية الخانات[2].

فاشتهرت كل مدينة من مدن العراق بنوع محدد من الصناعات، فالبصرة اشتهرت بجودة صناعاتها التي تمثلت بإنتاج أفضل أنواع الخز، والبز والقز، والبصرة كانت مشهورة آنذاك بزراعة القطن، فضلاً على ذلك فإنها اشتهرت بأنواع أخرى من الأنسجة والثياب، كالفوط البصرية الثمينة التي تضعها المرأة على رأسها[3].

---

(1) الكبيسي، المدينة والحياة المدنية، ج2، ص184.

(2) الكبيسي، المدينة والحياة المدنية، ج2، ص59.

(3) لبيد، الدولة العربية في العصر الأموي، ص244.

وفي مدينة الأبلة وجدت صناعة الأنسجة الكتانية الرقيقة بنوعيها المطرّز وغير المطرّز، كما اشتهرت الأبلة بصناعة العمائم والستور[1]، أما مدينة الموصل فقد اشتهرت بصناعة الوشي والمطارف والزرابي والأنماط، والثياب المصنوعة من القطن والكتان والثياب الرقيقة، كما أنها اشتهرت بصناعة الستائر الجيدة، التي كان يصدّر منها خارج المدينة، لأنها كانت تفيض عن حاجة السوق الداخلية، وكان نسيج بعض الستائر يطرّز بخيوط من الفضة والذهب[2].

وكانت للكوفة فرادة واضحة في صناعة العمامة الكوفية، المنسوجة من الخز[3]، المشهورة بجمالها وجودتها، وأيضاً صنعت المناديل الحريرية المستعملة لتغطية الرأس، والتي ما تزال حتى اليوم تسمى بالكوفية، ومن المنسوجات الكوفية أيضاً الثياب، والحلل النجرانية التي نقل العرب اليمنيون صناعتها إلى الكوفة، كما صنعت الخُمر، التي تضعها النساء على وجوههن، وكان يُصدّر بكميات كبيرة إلى الحجاز، فأقبلت نساؤه على شرائها[4]، وقد وُجد أن اليهود هم أكثر الفئات اهتماماً بالصناعة، حيث احترفوا الصباغ ونسج الحرير، وصناعة الزجاج والسفن[5].

واتخذ الخلفاء والأمراء دور الطراز وذلك حتى ينسجوا أسماءهم على الثياب، ويرتبط بصناعة النسيج صناعة أخرى هي الصباغة، فالعرب استعملوا الأصباغ الأولية بنسب معينة لإيجاد مختلف الألوان، وكانت مدينة الحيرة معروفة بصناعة البسط، فالبسط الحيرية كانت ذات شهرة عالية في هذا العهد، وكان الصوف والوبر من أهم المواد المستعملة في الحياكة،

---

(1) الكبيسي، المدينة والحياة المدنية، ج5، ص279.

(2) الكبيسي، المدينة والحياة المدنية، ج5، ص278.

(3) (الخز) من الثياب ما ينسج من صوف وإبريسم وما ينسج من إبريسم خالص. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ج1، دار الدعوة، اسطنبول 1989 ص231.

(4) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص128.

(5) ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ص205.

واستعمل أيضاً القطن والكتان في صناعة البسط، وهناك أنواع جيدة من السجاد كان أهل الحيرة يتقنون حياكتها، وكانت البسط والسجاد تستعمل لأغراض مختلفة، منها ما يفرش على الأرض وهي أما أن تكون كبيرة وتسمى البسط، أو مستطيلة وتسمى الأنخاع، والبعض منها يعلق للزينة ويسمى الأنماط، ونوع خاص كان للصلاة يسمى السجاد، وكذلك اشتهرت النعمانية بصناعة البسط، وكانت الرسوم التي تُرسم في بسط الحيرة تقلد النعمانية، حتى أن مصنوعاتها من البسط تسمى البسط الحيرية[1].

وكانت صناعة الخيام من الصناعات ذات الأهمية في الكوفة، فقد كانت تُصنع من الصوف أو الشعر أو الوبر أو القطن، وتختلف أسماء بحسب المادة المصنوعة منها وأيضاً حسب الحجم، فالخيمة التي تُصنع من الصوف تسمى الخباء، والتي تصنع من الشعر تسمى بالفسطاط، والمصنوعة من الوبر تسمى السجاد، والتي تصنع من القطن تسمى بالسرداق، وهناك نوع خاص من الخيم يدعى الطراف، ويُصنع نوع خاص من الجلد يستعمله الأغنياء وذوي الثراء[2].

أما المنسوجات الكتانية فكان يُقبل عليها الناس، فينسجون الملابس الفائقة التي تثير الحكام بصناعتها، ودفعتهم أيضاً لمراقبة مراكز الصناعة[3]، وكثُرت المنسوجات القطنية كذلك في العراق عامة وفي الكوفة والبصرة خاصة، ومردّ ذلك إلى انتشار زراعة القطن في العراق.

ولم يكن الاهتمام بالصناعات النسيجية فحسب، وإنما كان أيضاً بالصناعات الخشبية التي تركّزت بالموصل، وربما كان توفر الأخشاب في الموصل أثر كبير في تفوقها بذلك على

---

(1) الآلوسي، محمود شكري بن عبد الله (ت1342 هـ /1924م) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجة الأثري، ط2، ج3، دار الكتب الحديثة، المكتبة الأهلية، القاهرة 1923 ص393-394.

(2) الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، ج3، ص393-394.

(3) ريسلر، الحضارة الإسلامية، ص125.

غيرها[1]، وكان لصناعة النجارة مكانة خاصة في الكوفة، مثل صناعة الأثاث المنزلي كالمناضد والكراسي، وتطورت صناعة السفن في العراق كثيراً، واشتهرت السفن المدهونة بالقير[2]، وعرفت البصرة والأبلة على أنها من مراكز صناعة المراكب الخشبية[3].

كما نشطت الصناعات المعدنية في العراق في عهد هشام بن عبد الملك وخاصة صناعة الأسلحة، التي كانت الكوفة مركزاً مهماً من مراكزها لكونها قاعدة حربية ومركز تجمع وانطلاق الجيوش، وتماشياً مع رغبة هشام في تطوير هذه الصناعة[4] عمل العراقيون مصانع خاصة تحقق هذه الرغبة وتتلاءم واهتمامه الكبير في ذلك[5]، فاستخدموا عدة معادن في هذه الصناعة، مثل البرونز والنحاس والحديد، وكانت في الكوفة سوق خاصة بذلك تسمى سوق الحدادين، وكانت الحيرة تتميز بصناعة الأبواب الحديدة ومشكات السلاح والسيوف والرماح، كما أنهم صنعوا أواني الطبخ والقدور من النحاس، وربما أن وجود المعادن كالنفط والقير واللؤلؤ الذي كان يُستخرج من الفرات بالقرب من مصبه هو ما ساعد على تطور الصناعات المعدنية.

وأيضاً نذكر صناعة استخراج الدهون من البذور[6]، وهي من الصناعات القديمة في الكوفة، وكان من أهم الزيوت التي تستخرج زيت السمسم وزيت دهن اللوز، ودهن بذور الكتان والقطن، وزيت الخروع بالإضافة إلى زيت الزيتون، وصار لهذه الزيوت سوقاً خاصة

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص205.

(2) ابن رسته، أحمد بن عمر (ت300 هـ /912م) الأعلاق النفيسة، د.ن. ليدن، هولندا 1967 ص195.

(3) الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي، ص103.

(4) المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج3، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1988 ص217.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص350.

(6) ابن الفقيه، مختصر البلدان، ص252.

في الكوفة يسمى سوق الزياتين[1]، وكانت الكوفة والبصرة من أشهر المناطق في صناعة العطور، فصنعت ماء الورد ودهن البنفسج واستخرج من الأزهار التي زرعت لهذا الغرض.

ومن ناحية أخرى نجد أن الحيرة قد ورد أنها اشتهرت بالصياغة قبل بناء الكوفة، فكان صيّاغها يصيغون الذهب والفضة ويرصعونها بالجواهر، وبعد بناء الكوفة لاقت هذه الصناعة رواجاً شديداً وإقبالاً كبيراً لزيادة الترف وتطور المجتمع السريع، وكانت أدوات الزينة للنساء أهم هذه الصناعات، فكان يُصنع للنساء الأكاليل والخلاخيل والأساور والخواتم والعقود وغيرها، وكان الأغنياء يصيغون بعض أدواتهم من الذهب والفضة لإظهار التفاخر كالأواني والكؤوس، وكان لهذه الصناعة سوق خاص بها بالقرب من المسجد الجامع يسمى سوق الصاغة[2].

وإلى جانب ما ذكر من الصناعات انتشرت صناعة الأواني الخزفية والفخارية وصناعة الورق والزجاج، ولعل ذلك بفضل تأثير الحيرة التي نقلت بعضاً من هذه الصناعات إلى العراق وخاصة إلى الكوفة وواسط، وهناك صناعات أخرى عرفت في هذا العهد مثل صناعة الصابون وصناعة النبيذ والخمور وغيرها[3]، ونظراً لقلة خبرة العرب في هذا المجال يمكن القول أن العناصر غير العربية التي دخلت الإسلام هي التي عملت في مجال الصناعة وساهمت في تطورها وتقدمها.

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص591.

(2) ماسينيون، لويس، خطط الكوفة وشرح خريطتها، د.ن، صيدا لبنان 1946 ص68.

(3) المعاضيدي، عبد القادر، واسط في العصر الأموي، دار الحرية، بغداد 1976 ص447.

الفصل الثالث

الحياة الاجتماعية في العراق في بداية القرن الهجري الثاني

يعد العهد الأموي فترة تحول كبير في الحياة الاجتماعية للدولة الإسلامية، واتخذ عدة اتجاهات أساسية تمثلت باتجاه العرب نحو الاستقرار والأخذ بأسباب الحياة الحضرية، التي شجعت طبيعة العمران في المناطق التي قامت بها المدن[1]، وبالرغم من أن العرب لم يندمجوا في بداية الأمر مع سكانها بسبب سياسة عمر بن الخطاب[2]، إلا أن هذا الاستقرار أدى فيما بعد إلى الاختلاط والتزاوج، فاختلطت الأنساب وتداخلت الشعوب[3]، وأصبح المجال بذلك مهيّأً للامتزاج بين الحضارات.

وحين يكون الحديث عن الحياة الاجتماعية فإنه يجدر بنا دراسة فئات المجتمع، التي كوّنت المجتمع العراقي في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وأهم ما الفئات هي، ما ستناوله في المباحث التالية:

المبحث الأول: العرب

كان العنصر العربي في مقدمة العناصر العربية التي ضمّها المجتمع العراقي في بداية القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، فقد بنى العرب المدن مثل الكوفة[4] والبصرة[5]،

---

(1) العدوي، إبراهيم، النظم الإسلامية، ص402.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص618.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808 هـ /1405م) العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت، 1988 ص162.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص270.

(5) البلاذري، فتوح البلدان، ص337.

فكانت البصرة مستقر عرب الشمال، كقبيلة بكر[1] وخزاعة[2] ورباب[3] وحنظلة[4] وعبد قيس وقيس[5].

وغلب على أهل الكوفة أهل اليمن كقبيلة عبد القيس وبجيلة وقضاعة[6] وكندة[7]، وهمدان[8] ومذحج[9] وغيرها[10]، وصارت هذه المدن مراكز التقاء بين العرب وأهل البلاد المحليين وسبيلاً للتقارب والامتزاج[11].

---

(1) بنو بكر بطن من عذرة بن زيد اللات بن كلب من ابن وائل بن قاسط بن هنب بن أقصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وهم في ديار بكر. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص178.

(2) بنو خزاعة قبيلة من الأزد من القحطانية، وهم بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مزيقيا، وعمرو هذا أبو خزاعة كلها، ومنه تفرقت بطونها فولد له كعب بطن، وملبح بطن، وعدي وعوف وسعد بطن، وذكر في موضع آخر أن خزاعة هو أسلم. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص244.

(3) ينتسبون لرباب بن حجير بن عامر بن صعصعة، ومنهم جاب ربن سمرة أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جاب ربن سمرة بن جنادة بن جندب بن حبيب بن رباب. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص258.

(4) بنو حنظلة بطن من تميم من القحطانية، وهم بنو حنظلة الأكرمين. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص238.

(5) الدينوري، الأخبار الطوال، ص172.

6) بنو قضاعة قبيلة من حمير من القحطانية، غلب عليهم اسم ابيهم فقيل لهم قضاعة، وهم بنو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير هذا هو المشهور فيه، وعليه جرى ابن الكلبي وابن اسحاق وغيرهما. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص400.

(7) كندة قبيلة من كهلان، وكندة هذا أبوهم واسمه ثور، وكان لكندة هؤلاء ملك بالحجاز واليمن. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص409.

(8) بنو همدان بطن من كهلان من القحطانية، وهم بنو همدان بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الجبار بن زيد بن كهلان. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص438.

(9) ينتسبون لمذحج بن يخامر بن مالك بن أدد بن زيد بن كهلان. القلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، ص417.

(10) الدينوري، الأخبار الطوال، ص172.

(11) العدوي، إبراهيم، النظم الإسلامية، ص402.

وما أن رأى العرب أنهم يشكّلون نسبة ضئيلة من السكان حتى أخذوا بالاستكثار من التناسل، وامتلكوا الجواري وأسرفوا في التسرّي[1].

وعلى الرغم من أن التحول الاجتماعي تمثّل في تخلي القبائل العربية عن الكثير من مفاهيم البداوة، إلا أنهم لم يتخلّوا عن عاداتهم، وأن التقاليد الحضرية التي اكتسبوها لم تنشأ دفعةً واحدة، بل جاءت بصورة تدريجية[2]، فكان لبيئة العراق واستعداد العرب الفطري أثر في تحضّرهم، إذ أن بيئة العراق هيّأت اختلاطهم بغيرهم من العناصر على اختلاف مستوياتهم ومهنهم[3]، وظلوا يرتقون سلّم الحضارة حتى بلغوا فيها درجة رفيعة.

وتمثل ذلك التقدم الحضاري بما اقتبسوه من النظم الفارسية في مجال البناء، وإضافة ما يناسب طبيعة العرب المسلمين، لدرجة أن فن البناء العربي فاق مثيله الفارسي، وأحرزت الثقافة العربية تقدماً واضحاً بتأثرها بما ساد العراق من ثقافات، وأصبحت مدن العراق من أكثر المراكز العقلية نشاطاً، فزاد هذا التقدم في ثروة العرب مما أدى إلى انغماسهم في الترف[4]، وبعد أن اكتسبوا العادات وتعلموا أنواع الملابس والطعام والغناء والموسيقى ووسائل الترف، ورغم أن العرب أخذوا بأسباب الحضارة وأقاموا في المدن، فإن ذلك لم ينسهم العصبية القبلية، فظل يراودهم الشعور بأنهم قبائل بالرغم من أنهم اتخذوا الأعاجم خدماً، وقد وضعت نواة العصبية في العراق منذ خلافة عمر بن الخطاب حيث انتقلت مع اليمنية والمضرية إلى هناك، فكانت البصرة مُستقر المضرية، بينما كانت الكوفة مُستقر اليمنية بصورة أساسية ومع كل منهم أحقادهم وضغائنهم القديمة[5].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص79.
(2) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في تاريخ صدر الإسلام، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1961 ص8.
(3) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، ص104.
(4) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج1، ص173.
(5) ضيف، شوقي، التطور والتجديد في الشعر الأموي، دار المعارف، القاهرة 1970 ص19.

المبحث الثاني: الموالي

شغل الموالي دوراً هاماً في التاريخ الإسلامي، فقد كان لهم تأثير كبير في المجتمع الأموي، من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، فلهم فضل كبير في نقل الوسائل الحضارية للمجتمع الجديد، وكان لهم باع طويل في العلوم الشرعية، وإليهم يعزى إيجاد نواة الثورة الفكرية، ومبادئ الأفكار الفلسفية الدينية.

إن أصل كلمة الموالي يعود لمولى المشتق من الفعل ولي، ومصدرها الولاء، واسم المفعول منها مولى [1]، وهناك عدة معاني لهذه المفردة أهمها الولي، فقد ورد في القران الكريم قوله تعالى: " ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ "[2]، وتعني أيضاً ورثة الرجل وبنو عمومته كما في قوله تعالى : " وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي""[3]، وتأتي أيضاً بمعنى الحليف المنضم إليك فعزه بعزك وقوته بقوتك، وفي هذا يقول الشاعر:

هم المولى وإن جنفوا علينا ... وأنا من لقائهم لزور[4]

ومن معانيه المعتق وهو من انتسب لنسبك، فقيل عن المعتقين الموالي، وأيضاً تطلق على السيد المعتق، وقد عرف العرب موالي البنوة والأمومة، فقد تبنى الرسول صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، حتى نزل قوله تعالى: " ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ "[5]، وبهذا يكون الإسلام قد حرّم

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج15، ص408.

(2) سورة محمد، الآية 11.

(3) سورة مريم، الآية 205.

(4) الزبيدي، محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت1205 هـ /1790م) تاج العروس من جواهر القاموس، ج40، مجموعة محققين، دار الهداية، ص244.

(5) سورة الأحزاب، الآية 5.

حرّم هذا العمل ودعا نسبة المولى لوالده، وبيّن مكانته بقوله تعالى: " فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ"[1].

وأدت الفتوحات الإسلامية إلى كثرة الأعاجم، فأطلق العرب عليهم اسم الموالي، وأصبحت هذه التسمية تطلق على كل من أسلم من غير العرب سواء أكان رقيقاً أم حراً[2]، وقد وجدت بين السيد والمسود علاقة أطلق عليها اسم الولاء، تربط بينهما أحدهما يلتزم بنصرة الآخر، والآخر يقوم بخدمته وتلبية ما يحتاج من طلبات.

والمولى عند العرب كان إما أسيراً أو سبياً أو عبداً تم شراؤه، وكان يُنسب إلى السيد الذي أعتقه، أو إلى المكان أو البلد الذي جاء منه، وكان يطلق عليهم كلهم اسم عبيد أو أرقّاء وهما بمعنى واحد[3].

بعد أن ترسّخ الإسلام واستقرت قواعده ودولته لم يقبل أن يسترق العرب، فهذا عمر بن الخطاب أعاد سبي بني تغلب إلى عمائرهم وأيضاً أموالهم[4]، ولم يكتف الإسلام بذلك بل إنه حارب الرق بعدة طرق، منها كفارة القتل العمد أو الحنث باليمين لقوله تعالى:" وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ"[5]، وأيضاً لطلب الأجر والثواب لقوله صلى الله عليه وسلم : " من أعتق رقبة مؤمنة، أعتق الله بكل إرب منها إرباً منه من النار، حتى أنه ليعتق باليد اليد، وبالرجل الرجل، وبالفرج الفرج "[6]، وكذلك المكاتبة بيع ماله بمال من أداء، وهو أن يتفق

---

(1) سورة الأحزاب، الآية 5.

(2) أمين، أحمد، فجر الإسلام، بيروت 1969 ص88.

(3) زيدان، جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج4، دار الحياة، بيروت 1967 ص303.

(4) البلاذري، فتوح البلدان، ص182.

(5) سورة النساء، الآية 92.

(6) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241ه/855م) مسند أحمد بن حنبل، ط1، ج15، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت 2001 ص260.

المملوك مع مولاه على مبلغ معين من المال لقاء أن ينال حريته[1]، لقوله تعالى : " وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ"[2]، وهناك وسائل عديدة جاء بها الإسلام وحاول أن يقضي على هذه الظاهرة المتفشية في المجتمع[3].

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: " المؤمنون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم، ألا لا يقتل مؤمن بكافر، ولا ذو عهد في عهده "[4]، وقوله عليه السلام في في حجة الوداع : " يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى أبلغت..... [5]"، وهو في هذا الحديث يدعو إلى المساواة دونما تمييز بين عرق أو آخر، ولكن السؤال الذي يطرح كيف كانت النظرة التي نظرها الأمويون إلى الموالي ؟ هل هي عادلة ؟ أم أنها لم تخل من التمييز والكراهية بسبب العرق؟

وللإجابة على هذا التساؤل نرجع إلى رواية ابن عبد ربه في العقد الفريد إذ يقول : " أن العربي كان إذا مرّت به جنازة قال: من هذا؟ فإذا قالوا قرشي؛ قال: واقوماه! وإذا قالوا: عربي؛ قال: وابلدتاه! وإذا قالوا: مولى؛ قال: هو مال الله، يأخذ ما شاء ويدع ما شاء، وكانوا

---

(1) الحصني، أبو بكر بن محمد بن عبد المؤمن (ت هـ /1426م) كفاية الأخيار في حل غاية الإختصار، ط1، علي عبد الحميد بلطجي ومحمد وهبي سليمان، دار الخير، دمشق 1994 ص585.

(2) سورة النور، الآية 33.

(3) للمزيد عن ذلك انظر الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت1250 هـ /1834م) نيل الأوطار، ط1، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر 1993.

(4) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241 هـ /855م) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، ج2، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الرياض 2001 ص268.

(5) ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج38، ص474.

يقولون لا يقطع الصلاة إلا ثلاثة: حمار، أو كلب أو مولى[1]، ويُذكر أن الحجاج لما قبض على الموالي الذين أيدوا ابن الأشعث في ثورته أراد أن يفرقهم حتى لا يجتمعون، ونقش على يد كل رجل منهم اسم البلدة التي وجّهه إليها؛ وكان الذي تولى ذلك منهم رجل من بني سعد بن عجل ابن لجيم، يقال له خراش بن جابر؛ وقال شاعرهم:

وأنت من نقش العجليّ راحته ... وفرّ شيخك حتى عاذ بالحكم[2].

ونلحظ من هذه الرواية أن الأمويين كانوا يرون أنفسهم أرفع منهم، وأنهم احتقروهم وتعصبوا للعرب، وهذا ما يؤكده عمر فروخ في كتابه تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية : " إن سياسة بني أمية كانت مبنية على العصبية العربية، وكان الموالي من الترك والفرس يلقون من تلك السياسة عنتاً كبيراً، وكان استبدادهم شديداً وحكمهم قاسياً، فلم يستطع أولئك الموالي تحركاً قبل مجيء عمر بن عبد العزيز الذي كان متساهلاً معهم جداً وعادلاً، الشيء الذي لم يرض عنه بنو أمية"[3].

ويؤكد الدوري أن النظرة إلى الموالي كانت تتصل بذلك التقابل بين القبلية ومبادئ الإسلام، فكلما تغلغلت مبادئ الإسلام وتمثّلها الناس في سلوكهم واتجاههم، كلما كانت نظرته التأكيد على المساواة واعتبار الإسلام خير ضمان للفرد أو الجماعة في الكيان الاجتماعي[4]، وهذا يفسر ظاهرتين تستدعيان الانتباه أولهما عدم لجوء كل المسلمين من غير العرب إلى الولاء، فإن البعض يكتفون بدخول الإسلام دون ارتباط بقبيلة أو جهة عربية، وهذا يعني ازدياد سيطرة الدولة واعتبارها الضمان للمشاركة في المجتمع، كما يعني تخلخل العصبية

---

(1) ابن عبد ربه، أحمد بن عبد ربه (ت327 هـ /938م) العقد الفريد، ج3، دار الكتاب العربي، بيروت 1982 ص360-361.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص364.

(3) فروخ، عمر، تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت 1970 ص152.

(4) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص42.

القبلية، وازدياد قوى المبادئ الإسلامية التي تؤكد على المساواة[1]، ويلاحظ دخول الموالي بأعداد متزايدة بمرور الزمن في الأحزاب السياسية وهي أحزاب عربية قامت حول الخلافة ومفهوم الحكم، ولكن قيادة الأحزاب ظلت عربية في هذه الفترة، وأن الثورات التي قامت في العصر الأموي هي ثورات عربية وأن الموالي شاركوا فيها مع مواليهم (حلفائهم)، أو مع رؤسائهم قادة الأحزاب، ولا نجد ثورة للموالي تستحق الذكر في الشرق قامت تحت رايتهم أو بدعوتهم[2].

عُرف الإنسان العربي بأنه مقاتل لا ينفك يخرج من حرب حتى يدخل غيرها، أما الموالي فإنهم امتهنوا العمل والمهن أو ما يسمى بالحرف والصناعات، ولذلك كانت نظرة العرب لهم سلبية [3]، ويرى آخرون أن العرب كان تعصبهم راجع إلى موقف الفرس من حركة الفتح[4]، ويذهب البعض إلى أن الموالي هم سبب تعصب العرب ضدهم، لأنهم عاملوهم كما كانوا يعاملون الفرس، بمزيد من التبجيل والتقديس، الأمر الذي أدى إلى غرور العرب[5]، أما دوزي فيعزو تظاهر بعض الموالي بالإسلام لكي يفرّوا من الجزية، فإسلام الكثيرين منهم لم يكن صادقاً، وهذا الذي أعطى العرب مبرّراً في عدم اقتناعهم بما نادوا به الموالي بأن الإسلام يساويهم بالعرب[6].

---

(1) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص43.

(2) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص43-44.

(3) فلوتن، فان، السيادة العربية والشيعة، ص27.

(4) فيصل، شكري، المجتمعات الإسلامية، دار العلم للملايين، بيروت 1974ص113.

(5) سيدلو، تاريخ العرب العام، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة الحلبي، القاهرة 1948 ص172.

(6) دوزي، رينهارت، نظرات في تاريخ الإسلام، ط1، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1933 ص391.

إن من يستقرئ التاريخ يجد أن الموالي شاركوا في الحياة السياسية في نجد والحجاز، ففي سنة 63 هـ /683م شاركوا في معركة الحرة بقيادة يزيد بن هرمز، وخلال حركة عبد الله بن الزبير اشترك الموالي في المعركة التي قامت بينه وبين الأمويين[1]، وكان لهم نصيب كذلك في الحياة الاقتصادية كالزراعة، وكان المسؤول عن مزارع معاوية في المدينة اسمه ابن ميناء وهو من الموالي[2]، واشتهر الموالي بحرفيتهم العالية في مهنة النسيج[3]، والتجارة، فكان سائب خاثر مولى بني ليث تاجراً موسراً يبيع الطعام في المدينة[4].

إن الموالي أكبّوا على العلوم الشرعية والتطبيقية حتى برع منهم عدد منهم في المحدّثون والفقهاء والشعراء والمغنّون، وتفوّقوا على غيرهم في كثير من المجالات، يقول الحموي : " لما مات العبادلة: عبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير وعبد الله بن عمرو بن العاص صار الفقه في جميع البلدان إلى الموالي، فصار فقيه أهل مكة عطاء بن أبي رباح وفقيه أهل اليمن طاووس وفقيه أهل اليمامة يحيى بن أبي كثير وفقيه أهل البصرة الحسن البصري وفقيه أهل الكوفة النخعي وفقيه أهل الشام مكحول وفقيه أهل خراسان عطاء الخراساني إلا المدينة فإن الله تعالى خصها بقرشي، فكان فقيه أهل المدينة غير مدافع سعيد بن المسيب) [5].

ولما تفوق الموالي في نواح كثيرة من العلوم واندمجوا في المجتمع والحياة الاقتصادية، ازداد اقبال الناس على الزواج من بنات الموالي غير العربيات، ورغبوا فيهن أكثر من ذي قبل، يقول ابن عبد ربه في العقد الفريد : " وكان أكثر أهل المدينة يكرهون الإماء، حتى نشأ

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص494.

(2) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ص250.

(3) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230 هـ /845م) الطبقات الكبرى، ط1، ج5، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 ص324.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص337.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص354.

منهم علي بن الحسين، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، ففاقوا أهل المدينة فقهاً وعلماً وورعاً، فرغب الناس في السراري"[1] .

فبهذا امتزجت الدماء العربية بالدماء الأعجمية عن طريق التزاوج، فنشأ جيل من التابعين هو خليط من العرب والموالي، وكانت صلتهم وثيقة بالحضارة المقتبسة، لأن الموالي كانوا في الأصل رقيقاً يقومون على خدمة أسيادهم العرب، إذ نقلوا إليهم كثيراً من ألوان الحضارة التي يجهلها العرب، كالأطعمة والأشربة والفرش وكثيراً من تقاليد الأفراح[2].

وفي الشعر والأدب كان للموالي نصيب كبير، فظهر منهم شعراء مثل اسماعيل بن يسار، وشقيقه محمد، وهو من سبي فارس، ويبدو أنه كان فارسياً شديد التعصب للعجم، وهذا يتبيّن عندما دخل على هشام بن عبد الملك في وهو بالرصافة جالس على بركة له في قصره فاستنشده وهو يرى أنه ينشده مديحا له فأنشده قصيدته التي يفتخر فيها بالعجم

يا ربع رامة بالعلياء من ريم ... هل ترجعن إذا حييت تسليمي

ما بال حي غدت بزل المطي بهم ... تخدي لغربتهم سيرا بتقحيم

حتى انتهى إلى قوله

إني وجدك ما عودي بذي خور ... عند الحفاظ ولا حوضي بمهدوم

فغضب هشام وقال له: أعلي تفخر وإياي تنشد قصيدة تمدح بها نفسك وأعلاج قومك غطوه في الماء، فغطوه في البركة حتى كادت نفسه تخرج ثم أمر بإخراجه وهو بشر ونفاه من وقته فأخرج عن الرصافة منفياً إلى الحجاز[3]، أما المغنون فهم كثر وكان أكثرهم من

---

(1) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج7، ص140.

(2) ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج1، ص218.

(3) الأصبهاني، الأغاني، ج9، ص125.

الفرس، فمعبد مغنّي المدينة المشهور كان مولى معاوية بن أبي سفيان[1]، وكذلك ابن سريح مولى بني نوفل ومغنّي الخلفاء[2]، وحكم الوادي مولى الوليد بن عبد الملك[3]، وللمغنيات نصيب كبير أيضاً فجميلة المغنية المشهورة كانت مولاةً لبني سليم، وعزة الميلاء مولاةً للأنصار[4].

إن سياسة الأمويين مع الموالي التي لم تعترف بحقوقهم، وظلت تسميهم بالعجم قد أثارت نقمة هؤلاء وسخطهم على العرب، فأخذوا يعبّرون عن استيائهم من هذه التفرقة التي اعتبروها هدفاً لأساس العدالة التي دعا إليه الإسلام، وذلك بالابتعاد عن موالاة القبائل العربية والاكتفاء بالدخول في الإسلام، على اعتبار أنه خير ضمان لحقوقهم[5]، ويبدو أن عدداً من الموالي أخذوا يشرحون وضعهم عن طريق الوفود التي أرسلوها للخليفة هشام بن عبد الملك، لتؤكد على المساواة وتطالب بتطبيق العدالة بمفهومها الشامل، وبناء مجتمع لا فرق فيه بين عربي وأعجمي[6].

لقد حاول الأمويون تدارك الأمر إلا أن أنصار النزعة القومية من الموالي تسربوا إلى الحركات الاجتماعية القديمة كالمانوية والمزدكية وعملوا على استغلال حركة السخط والتذمر بين الموالي، ثم إعلانهم الثورة على الدولة الأموية تحت ستار الفوارق الاجتماعية،[7]، واتسم نشاطهم السياسي بمساعدة الضعفاء والمظلومين وخاصة أصحاب المطالب الاجتماعية، وكان

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج1، ص19.
(2) الأصبهاني، الأغاني، ج1، ص97.
(3) الأصبهاني، الأغاني، ج5، ص14.
(4) الأصبهاني، الأغاني، ج7، ص124.
(5) سيدلو، تاريخ العرب العام، ص172.
(6) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، بيروت 1968 ص48.
(7) العدوي، إبراهيم، النظم الإسلامية، ص417.

أعظم دور قاموا به في ثورة ابن الأشعث التي انضم إليها الفلاحون الذين هجروا قراهم إلى المدن وطالبوا بالمساواة الاجتماعية، فكان القرّاء يسمعون أقوال الموالي ويتعاطفون معهم، وشجّعوا ابن الأشعث الذي ثار على الأمويين وضمّ إليه أولئك الموالي[1].

ولكن إن نظرنا للأمر من زاوية أخرى فإننا سنجد صورة ناصعة ومميزة عن الموالي، فلا يمكن اعتبار نظرة الازدراء أنها عامة على طوال فترة التاريخ الأموي، فالدوري يذكر أنها أخبار تتصل بالبيئات القبلية وبمفاهيمها، وهي بيئات لا تحترم الحرف اليدوية ولا الصناعات، بل إنها تعتز بالفروسية وبفنون القتال، ومن الطبيعي أن تكون النظرة إلى هؤلاء لا تتسم بالاحترام[2]، أما الكتّاب ورجال العلم فمنزلتهم محترمة حتى في الأوساط القبلية، فالحسن البصري عاش كسيد محترم في وكزعيم في البصرة، يقول ابن خلكان: " ... فتبع الناس كلهم جنازته واشتغلوا به، فلم تقم صلاة العصر بالجامع، ولا أعلم أنها تركت منذ كان الإسلام إلا يومئذ، لأنهم تبعوا كلهم الجنازة حتى لم يبق بالمسجد من يصلي العصر...." [3]، لقد اعتمد الأمويون على الموالي وعيّنوهم في أرقى المناصب، وفي بعض الأحيان كان نصيبهم من الوظائف العامة أكثر من العرب، فهذا القائد موسى بن نصير استعمل مولاه طارق بن زياد على طنجة وما والاها[4]، وولى سليمان بن عبد الملك على افريقية محمد بن يزيد مولى قريش بعد استشارة رجاء بن حيوة الكندي، الذي سار أحسن سيرة وأعدلها في

(1) العلي، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ص57-58.
(2) الدوري، عبد العزيز، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ط1، بيروت 1969 ص42.
(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص72.
(4) ابن عذاري، محمد (أو أحمد بن محمد) المراكشي (ت695 هـ /1295م) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، ج2، تحقيق ومراجعة ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت 1983 ص4.

افريقية[1]، وكان اسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر مولى بني مخزوم والياً على افريقية لعمر بن عبد العزيز، فكان يحرص على دعوة البربر إلى الإسلام، حتى أسلم بقية البربر في افريقية على يديه[2]، وفي سنة 101 هـ /720م ولى الخليفة يزيد بن عبد الملك يزيد بن أبي مسلم مولى الحجاج وصاحب شرطته والياً على افريقية[3]، وفي سنة 116 هـ /734م قدم عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول وقد كان على خراج مصر في أول أمره، ثم تقدّم به الحال إلى أن صبح والياً على افريقية والمغرب والأندلس كلها[4].

وفي خلافة سليمان بن عبد الملك أشار يزيد بن المهلب على سليمان أن يولي صالح بن عبد الرحمن الخراج، فسيّره إلى واسط، ولما قدم يزيد خرج الناس يتلقونه، ولم يخرج صالح حتى قرب يزيد، فخرج وبين يديه أربعمائة من أهل الشام، فلقي يزيد وسايره ولم يمكّنه من شيء وضيّق عليه[5]، وكان ميمون بن مهران والياً لعمر بن عبد العزيز على خراج الجزيرة، وكان ابنه عمرو بن ميمون على الديوان، وكان قد ولي قبل ذلك بيت المال بحران[6].

وكان معظم رؤساء الديوان في خلافة بني أمية من الموالي، فكان أبو الزعيزعة مولى عبد الملك على الرسائل، وسليمان بن سعد مولى خشين على الخراج والجند بعد أن ترجم ديوان الشام إلى العربية[7]، وبقي سليمان بن سعد على الخراج والجند في خلافة الوليد بن عبد

---

(1) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ص47.
(2) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ص48.
(3) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ص48.
(4) ابن عذاري، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب،ج1، ص51.
(5) ابن أعثم، الفتوح، ج7، ص166.
(6) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230 هـ /845م) الطبقات الكبرى، ط1، ج5، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 ص308.
(7) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص480.

عبد الملك وسليمان بن عبد الملك[1]، وبقي الليث بن أبي رقية كاتب رسائل في خلافة عمر بن عبد العزيز[2]، وكان سالم مولى سعيد بن عبد الملك كاتب رسائل في خلافة هشام بن عبد الملك[3]، وهذا الحجاج يولّي سعيد بن جبير على قضاء الكوفة، فلما ضجّ أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح القضاء إلا لعربي، ولّى مكانه أبا بردة وأمره أن لا يقطع أمراً دونه، وجعله كاتباً ووزيراً له[4]، وكان عامر الشعبي على قضاء الكوفة، والحسن بن أبي الحسن البصري على قضاء البصرة وهما من الموالي[5].

المبحث الثالث: أهل الذمة

أولاً لا بد من توضيح المصطلح لغةً واصطلاحاً، فالذمة لغةً من الذم وهو نقيض المدح، ذمه يذمه ذما ومذمة، فهو مذموم وذم، وأذمه: وجده ذميماً مذموماً، وأذم بهم تركهم مذمومين في الناس[6]، أما اصطلاحاً فهي ترد بمعنيين أولاً معنى يصير به الانسان أهلاً لثبوت الحق له له أو عليه، بمعنى أنه أصبح مكلفاً ، فيقال ثبت في ذمتي أي على نفسي، أو أعطيته الذمة، أي عاهدته على أن يكون له وعليه ما لي من حقوق وما عليه من التزامات[7]، وثانياً العهد الذي يعطاه أهل الكتاب ومن جرى مجراهم، ويعتبرون به من رعايا الدولة الإسلامية[8]،

(1) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص362.
(2) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص319.
(3) ابن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ج1، ص362.
(4) ابن قتيبة، المعارف، ص446.
(5) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج3، ص12.
(6) ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص220.
(7) أحمد عطيه، القاموس الإسلامي، ج2، ص440.
(8) قلعجي، محمد رواس، موسوعة عمر بن الخطاب، دار النفائس، بيروت 1998 ص406.

وسمي أهل الذمة (ذمة) لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم، ويقال أهل الذمة لأنهم أدّوا الجزية فأمنوا على دمائهم وأموالهم[1].

إن المجتمع العراقي في العصر الأموي لم يكن من العرب والموالي فحسب، بل إننا نجد أن أهل الذمة عنصر مهم ورئيس في هذا المجتمع، ومعظمهم من نصارى الحيرة ومن اليهود، وهم من العنصر العربي ومن الفرس والنبط والسريان الذي لم يقبلوا بالدين الإسلامي، وظلّوا متمسّكين بديانتهم القديمة، ولأن الإسلام لم يُكره أحداً على اعتناقه، فإنهم صاروا بذلك في ذمة المسلمين وحمايتهم، مقابل ضريبة يدفعونها تسمى الجزية[2]، والنصارى كانوا يقيمون في أجزاء كثيرة من العراق، وكان معظمهم من بني تميم وطيء وسليم[3].

وكان الخلفاء الراشدون قد سمحوا للنصارى حرية ممارسة شعائرهم ومعتقداتهم، وسمحوا لهم بقضاء خاص بهم، مع بناء الأديرة والكنائس والصوامع، وعند مجيء الأمويين تابعوا معاملتهم الحسنة، فهذا معاوية بن أبي سفيان تزوج من ميسون بنت بحدل الكلبية[4]، التي ظلت على نصرانيتها، ويروى أنه أوكل بيت المال إلى سرجون بن منصور الرومي الذي ظل محافظاً على منصبه حتى زمن يزيد، وكان الخليفة الثاني يستشره ويتبع نصائحه[5]، نصائحه[5]، ومع عبد الملك بن مروان وعلاقته بأهل الذمة لا يمكننا تجاوز الشاعر الأخطل، أحد شعراء النقائض في العصر الأموي، فورد في كتاب الأغاني " قال رجل لأبي عمرو: يا عجباً للأخطل نصراني كافر يهجو المسلمين، فقال أبو عمرو: يا لكع لقد كان الأخطل يجيء

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، ج12، ص221. ابن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ج2، ص346.

(2) أمين، فجر الإسلام، ص106.

(3) العمري، أحمد بن يحيى (ت749 هـ /1349م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط1، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت 2010 ص377.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص329.

(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص180.

وعليه جبة خز وحرز خز في عنقه سلسة ذهب فيها صليب ذهب تنفض لحيته خمراً حتى يدخل على عبد الملك بن مروان بغير إذن[1]، وهذا يدلّل أن الشاعر ظل متمسكاً بنصرانيته، ومع ذلك بقي الخلفاء يجلون ويحترمونه وهذا ما تؤكده الرواية التالية " فقد قال أحدهم : (قدمت الشام وأنا شاب مع أبي فكنت أطوف في كنائسها ومساجدها فدخلت كنيسة دمشق وإذا الأخطل فيها محبوس فجعلت أنظر إليه، فسأل عني فأخبر بنسبي، فقال: يا فتى إنك لرجل شريف وإني أسألك حاجة، فقلت : حاجتك مقضية، قال: إن القس حبسني ها هنا فتكلمه ليخلي عني، فأتيت القس فانتسبت له فرحب وعظم، قلت: إن لي إليك حاجة، قال: ما حاجتك، قلت: الأخطل تخلي عنه، قال: أعيذك بالله من هذا، مثلك لا يتكلم فيه، فاسق يشتم أعراض الناس ويهجوهم، فلم أزل أطلب إليه حتى مضى معي متكئاً على عصاه، فوقف عليه ورفع عصاه وقال: يا عدو الله أتعود تشتم الناس وتهجوهم وتقذف المحصنات، وهو يقول: لست بعائد ولا أفعل ويستخذي له: قال فقلت: له يا أبا مالك الناس يهابونك والخليفة يكرمك وقدرك في الناس قدرك وأنت تخضع لهذا هذا الخضوع وتستخذي له، قال: فجعل يقول لي: إنه الدين.....") [2].

أما عمر بن عبد العزيز فإنه كتب إلى عماله في مصر: إياكم أن تستعملوا على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فكتبوا إليه: يا أمير المؤمنين أنا استعملنا أهل القرآن فوجدناهم خونة، فكتب إليهم : إياكم أن يبلغني عنكم أنكم استعملتم على شيء من أعمالنا إلا أهل القرآن، فإنه إن لم يكن عند أهل القرآن خير فغيرهم أحرى بأن لا يكون عندهم خير[3]، وفي

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص177-178.

(2) الأصفهاني، الأغاني، ج7، ص182-183.

(3) ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597 هـ /1201م) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، دار الإسراء، عمان 2004 ص100.

كتاب آخر بعثه عمر إلى عماله يؤكد على أن تكون السلطة العليا للمسلمين لا لغيرهم فيقول: " إن المسلمين استعانوا في بادئ الأمر بأهل الذمة لعلمهم بالجباية والكتابة والتدبير، فكانت لهم في ذلك مدة قد قضاها الله ..... فلا أعلم كاتباً ولا عاملاً في شيء من عملك على غير دين الإسلام إلا عزلته واستبدلت مكانه رجلاً مسلماً...." [1].

غير أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً، فقد تولى بعضهم مناصب إدارية في بعض مناطق العراق، وتجلى ذلك في ولاية خالد القسري على العراق زمن الخليفة هشام بن عبد الملك، فقد عامل أهل الذمة معاملة طيبة، ونالوا في عهده بقسط وافر من الطمأنينة والأمان[2]، وكثرت أعدادهم في الدواوين والمصالح[3]، ويبدو أنه أفرط في ذلك وهذا الرسالة التي بعثها له الخليفة هشام بن عبد الملك، والتي جاء فيها " ... فيما ضيعت وارتكبت بالعراق، من استعانتك بالمجوس والنصارى، وتوليتهم رقاب المسلمين وجبوة خراجهم، وتسلطهم عليهم..." [4]، ويذكر النويري أنه لما ولي يوسف العراق كان الإسلام ذليلاً والحكم إلى أهل الذمة، وفي هذا يقول الشاعر:

أتانا وأهل الشّرك أهل زكاتنا ... وحكامنا فيما نسرّ ونجهر

فلما أتانا يوسف الخير أشرقت ... له الأرض حتى كل واد منور

وحتى رأينا العدل في الناس ظاهراً ... وما كان من قبل العقيلي يظهر[5].

---

(1) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص126.

(2) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، ص52.

(3) الأصفهاني، الأغاني، ج22، ص16.

(4) المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج4، ص99.

(5) النويري، شهاب الدين أحمد (ت 733 هـ /1232م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، ج21، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة 2003 ص457.

إن التذمر الذي أظهره أهل الذمة كان بسبب سياسة الحجاج، فأخذ بإخراجهم من المدن وإعادتهم إلى القرى بعد ختمهم[1]، وفرض على رهبانهم الضرائب، وأبعد عمّالهم عن الوظائف[2]، وبالرغم مما قيل عن معاملة أهل الذمة، فإن البعض يعترف بحسن تلك المعاملة وعدالتها[3]، ويرى البعض الآخر أن المسلمين اتبعوا في معاملاتهم المدنية والاقتصادية مبدأ الرعاية والتساهل[4].

المبحث الرابع: الرقيق

لما جاء الإسلام وأقبلت الفتوحات كثر الاسترقاق في الأمم المغلوبة، وتدفّق سيل من الأرقّاء والإماء على العرب الفاتحين، فمما يروى عن الزبير بن العوّام أنه كان يملك ألف عبد وألف أمة[5]، وأوجب الإسلام حسن معاملة الرقيق وحبّب إلى المالك العتق وجعله كفّارة عن كثير من الآثام والجرائم، قال تعالى: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ" [6]، وأوصى الرسول صلى الله عليه وسلم بحسن معاملة الرقيق فقال: " من لطم مملوكه مملوكه أو ضربه حدا لم يأته، فكفارته أن يعتقه" [7].

---

(1) ترتون، أهل الذمة في الإسلام، ترجمة حسن حبشي، القاهرة 1970 ص82.

(2) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ج3، ص416.

(3) ارنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص188.

(4) جولد، تسيهر، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص38.

(5) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج1، ص305.

(6) القرآن الكريم، المائدة، آية 89.

(7) البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت485ه/1066م) السنن الكبرى، ط3، ج8،تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 ص18.

وتعددت مصادر الرقيق فمنهم الصقالبة ويذكر البلاذري " أن عدداً من الصقالبة قد أخلصوا في خدمة الدولة الأموية فنالوا مناصب رفيعة"[1]، ومنهم الخزر والأتراك من بادية تركستان وهم يتميزون بالبشرة البيضاء على العموم، ومنهم السود وكان يُؤتى به من بلاد افريقيا وجنوب بلاد العرب[2].

وفي العصر الأموي ارتفع عدد الأرقاء وقيل أن موسى بن نصير جاء من افريقيا بما يزيد عن 300.000 من أسير أهدى خمسهم إلى الوليد بن عبد الملك[3]، كذلك أحصي عدد السبايا من بنات الأشراف اللاتي جاء بهن قتيبة بن مسلم من الصغد فبلغ مائة ألف[4]، وبلغ الذين أعتقهم سليمان بن عبد الملك سبعين ألفاً بين مملوك ومملوكه[5].

وكان هؤلاء العبيد وتحديداً السود منهم يُستخدمون في قضاء مختلف الأعمال في المنازل، ويُستخدمون في الزراعة والفلاحة وبناء الدور واستصلاح الأراضي في المزارع التي كان يملكها أسيادهم، فهذا معاوية بن أبي سفيان استخدم أربعة آلاف من الرقيق وأسرهم في بلدة الخضارم في إقليم اليمامة بنجد لاستصلاحها واستثمارها[6]، وكان معبد المغني الذي مرّ ذكره يرعى إبل بني مخزوم بظهر الحرة في المدينة، وكان الشاعر نصيب عبداً حبشياً يرعى إبل مواليه في مستهل حياته[7]، وعلى ما يبدو أن قيمة العبد كانت تختلف باختلاف صناعته فثمن العبد الذي يجهل الصناعة مائة دينار، وإذا كان راعياً للإبل يستطيع القيام بها

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان، ص.
(2) جورجي، زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، مطبعة الهلال، القاهرة 1919 ص25.
(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص39.
(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص14.
(5) كرد علي، خطط الشام، ج1، دمشق 1925 ص154.
(6) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص352.
(7) الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص269.

أحسن قيام قدّرت قيمته بمائتي دينار، وإذا كان عارفاً بصناعة النبال وغيرها من أدوات الحروب بلغت قيمته أربعمائة دينار، وإن كان مجيداً للشعر ارتفعت قيمته لستمائة دينار[1]، ولا يغيب عن البال صناعة السفن فللموالي دور مميّز في العمل في الأساطيل التي تتّخذ قواعدها في الشام[2].

المبحث الخامس: صور أخرى من الحياة الاجتماعية

إذا كان الاختلاط بين طبقات المجتمع محدود في أول الأمر، فإنه اتسع كثيراً فيما بعد، وحدث من التفاعل بينهما ما جعل كل منهما يؤثر ويتأثر الآخر، وكان التحضر الذي أصاب القبائل العربية مرتبط بالتسلّك بعادات وتقاليد جديدة، اذ استعمل العرب الأدوات التي تستخدم في حياتهم اليومية كالملاعق الخشبية والخزفية التي كان يُؤتى بها من الشرق، وعرفوا الكؤوس على الموائد وأواني متنوعة لم تكن تعرف عندهم من قبل، وكان الاهتمام بالنظافة من أخلاق العراقيين، وتمثل ذلك ببناء الحمامات، وكان الأغنياء يقيمون البرك الخاصة لهم[3]، لهم[3]، وكانت تزخرف من الداخل وتلوّن بألوان مختلفة وتزوّد بكل ما من شأنه أن يبعث البهجة في النفوس[4]، ومارس الأمويون العراقيون هواياتهم بما يتلاءم وروح العصر في عهد عهد هشام، كما اهتم الخلفاء المتأخرون بسباقات الخيول كثيراً، فقد أنشأ هشام حلبة ضخمة للسباق كان يجري بها أربعة آلاف فرس[5]، واشتركوا في السباق بخيولهم، وأنشأ ابن هبيرة

---

(1) الأصبهاني، الأغاني، ج1، ص320.

(2) الحوراني، جورج فضلو، العرب والملاحة في المحيط الهندي، دار الكتاب، القاهرة 1949 ص181-814.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص284.

(4) القزويني، زكريا بن محمد محمود(ت 682هـ/1283م) آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت د. ت. ص393.

(5) المسعودي، مروج الذهب، ج3، ص217.

حلبة للسباق أيضاً، ولكن هشام أخذته الغيرة من ابن هبيرة فأرسل إليه ينهاه عن اتخاذ الخيل[1].

ومن ناحية أخرى لم تكن مجالس الغناء في هذا العهد منتشرة بالصورة التي أصبحت عليه في العهد العباسي، ولعل ذلك يرجع إلى كثرة الفتن والثورات من جهة، وانتشار الزهد والتصوف من جهة أخرى، ويضاف لذلك موقف الولاة الذي لم يكن موحّداً إزاء الغناء، فكان خالد بن عبد الله القسري جادّاً في مجالسه، وحرّم الغناء على أهل العراق في زمنه[2]، وهدّد رئيس شرطته بالعزل إن لم يقبض على المغنيات[3]، ورغم جدّية خالد وعدم ميله إلى الشعر والغناء إلا أنه لم يستطع أن يوقف ذلك[4]، أما في عهد يزيد بن عمر بن هبيرة فقد اتسعت المجالس الاجتماعية، وكان يدور فيها نفاخر بين البصرة والكوفة، وهكذا فإن المجالس الاجتماعية في عهد هشام ومن تبعه من الخلفاء كانت استمراراً لما ساد المجتمع الأموي في العراق مع بعض الاختلاف في مواقف محددة[5].

أما المرأة فهي جزء لا يتجزأ من المجتمع ولا يجوز إغفال دورها، فقد تمتعت بعدد من الميزات التي ساهمت في رفع مستواها، إذ أعفيت المرأة غير المسلمة من الجزية، ولم تكن تدفع إذا ملكت أرضاً خراجاً إلا خراج تلك الأرض[6].

---

(1) الجهشياري، محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت331 هـ /943م) الوزراء والكتاب، ص59.
(2) الأصفهاني، الأغاني، ج22، ص24.
(3) الأصفهاني، الأغاني، ج19، ص63.
(4) الأصفهاني، الأغاني، ج10، ص15.
(5) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /889م) عيون الأخبار، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت 1998 ص321.
(6) القرشي، يحيى بن آدم (ت203 هـ /818م) كتاب الخراج، مطبعة بريل، ليدن 1895 ص72.

واهتم العراقيون باقتناء الجواري، سيما وأن الحروب كانت سبباً لذلك، فكانت توزّع على المحاربين مع الغنائم، وتُباع في أسواق النخاسة، فقد ذكر أن عدداً كبيراً من سبي الهند قد ورد على خالد القسري ففرّقها على وجوه العراق[1]، وظهرت في العراق نساء شهيرات في الزهد والتصوف مثل رابعة العدوية التي عاشت في البصرة سنة 125 هـ /742م وذاع صيتها في الورع، حتى أن قبرها صار مزاراً للعراقيين[2].

أما تقاليد الزواج فلم تختلف كثيراً عن العهود السابقة، حيث كان يُبدأ بالخطبة، ثم يتم دفع المهر الذي كان نقداً أو عيناً- وذلك حسب الاتفاق بين الطرفين- والذي كان يختلف باختلاف حالة الخاطب الاجتماعية، وكعادة النساء في أي عصر كن يحلّين أنفسهن بالحلي والمجوهرات الذهبية والفضية، ويتجمّلن بأنواع الأحجار الكريمة، وأنواع الزينة المختلفة[3].

(1) الأصفهاني، الأغاني، ج9، ص75.
(2) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص285.
(3) الأصفهاني، الأغاني، ج18، ص128.

الفصل الرابع

الفصل الرابع

موقف العراق من الثورة العباسية الجديدة

قبل الحديث عن موقف أهل العراق من الثورة العباسية لا بد من إعطاء لمحة موجزة عن هذه الثورة وكيف انتشرت حتى أثمرت دولة استمرت أربعة قرون وحملت لواء العالم الإسلامي في وجه الشرق والغرب.

المبحث الأول: الدعوة العباسية

استمرت الفترة السرية للدعوة العباسية ما يقرب من ثلاثين سنة في الفترة الممتدة 98-128 هـ /716-745م، وصاحب الدور الأكبر في تنظيمها هو محمد بن علي العباسي[1]، وقد انطلق أوائل الدعاة من منطقة الحميمة مقر العباسيين، فهي تجمع قروي صغير غير ملفت لانتباه الدولة الأموية، وكانت الحميمة تابعة للوالي الأموي المقيم في دمشق، إلا أنها كانت بالقرب من طريق الحج الشامي، وهذا الذي سهّل على العباسيين الاتصال بأتباعهم وذويهم في الحجاز، وبأنصارهم الذين كانوا في يحجّون إلى مكة[2].

وقد تميز تنظيم الدعوة العباسية بالسرية التامة كما أسلفنا، وامتاز بمجموعة من الميزات، كان أهمها التأكيد على عدم اشتراك الدعاة وأنصار الدعوة بأي حركة تتسم بالميول للعلويين، وهذا أمر منطقي لأن العلويين كانوا موضع شبهة كبيرة ومراقبين من قبل السلطات

---

(1) محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، أول من قام بالدعوة العباسية، وهو والد السفاح والمنصور، ولي إمامة الهاشميين سراً في أواخر أيام الدولة الأموية، وكان مقامه بأرض الشراة، بين الشام والمدينة، ومولده بها في قرية تعرف بالحميمة، وبدء دعوته سنة 100 هـ /718م وعمله نشر الدعوة وتسيير الرجال إلى الجهات للتنفير من بني أمية والدعوة إلى بني العباس، وكان عاقلاً حليماً، جميلاً وسيماً مات بالشراة سنة (125 هـ /743م). الذهبي، تاريخ الإسلام، ج8، ص223.

(2) أخبار الدولة العباسية، ص130.

الأموية، فالابتعاد عن السلطات الأموية من شأنه أن يسرّع الحركة قدماً، وأوصى عبد الله بن العباس ابنه علي بذلك، والتزم محمد بن علي بنظام الدعوة الذي أكّد على جميع الدعاة والأنصار التقيّد بذلك، وكان يحذّرهم من بغض أهل الكوفة المقيمين في خراسان لميولهم العلوية[1].

ومن مميزات الدعوة أيضاً التأكيد على التزام السرية والرفق في دعوة الناس للعباسيين، فكان محمد بن علي يقول لدعاته : " احفظوا ألسنتكم، وإني مطبق على أمر، انطلقوا أيها النفر فادعوا الناس في رفق وستر....."، كما دعاهم إلى كتمان أمرهم وأن لا يفشوه إلى أحد، إلا بعد أن يأخذوا عليه العهود المؤكدة، ويقول ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الآداب السلطانية ما يؤكد ذلك : " وما اعتنت دولة بتحصين الأسرار والمبالغة في حفظها كالدولة العباسية "[2]، وكان الدعاة أيضاً حريصين على عدم الإفصاح عن اسم الإمام العباسي لكي لا يقع في قبضة الأمويين فيقتلوه، وفي نفس الوقت حتى يظل العلويون على نفس التأييد والدعم للدعوة العباسية، فأوصاهم محمد بن علي إذا سئلوا عن اسمه أن يقولوا : " أمرنا بكتمان اسمه حتى يظهر "، وقال أيضاً : " ليكن اسمي مستوراً عن كل أحد، إلا عن رجل عدلك في نفسك في ثقتك به وقد أكّدت عليه وتوثّقت منه وأخذت بيعته"[3]، ولزيادة الإخفاء طالب محمد بن علي بالدعوة إلى الرضا من آل محمد أو من آل البيت، وعمّم ذلك على جميع دعاته بهدف

---

(1) أخبار الدولة العباسية، ص130-200-204-231-242.

(2) ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص65.

(3) مجهول، (المتوفى: ق 3هـ/9م) أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت 1990 ص192-194.

اجتذاب أكبر عدد من المسلمين، وعدم تحديد الإمام لأنه يشمل جميع بنـــي هاشـــم بمـــا فـــيهم العباسيين[1].

بدأت الدعوة العباسية في الكوفة، وكان الذين استجابوا لها في البداية أربعة، فأوصـــاهم محمد بن علي بنشر الدعوة وألا يعوّلوا على أهل الكوفة، إلا أهل النيّات الصحيحة منهم، لشدة ميل أهلها إلى العلويين، ولقربها من واسط مركز الإدارة الأموية في العراق والمشـــرق، ثـــم وجّههم بعد ذلك إلى خراسان، وكان ذلك بإشارة بكير بن ماهان رئيس الـــدعاة فـــي الكوفـــة، ويذكر بكير أنه تجوّل في الآفاق فلم يجد أرق قلوباً عند ذكر آل الرسول صلى الله عليه وسلم من أهل المشرق مما زاد في اقتناع محمد بن علي في ذلك[2]، وكـــان توجيـــه الـــدعاة إلـــى خراسان وإرشادهم يتم في الكوفة لتوسط موقعها بين الحميمة وخراسان، وكان الدعاة يرسلون التقارير إلى الحميمة عن طريق الكوفة، وبهذا صارت الدعوة العباسية بثلاثـــة محـــاور فـــي الكوفة والحميمة وخراسان[3]، ثم بعد ذلك تم اختيار نقباء للدعوة في خراسان ويذكر صـــاحب كتاب أخبار الدولة العباسية أن اختيار النقباء جاء بعد ما عمله عمار بن يزداد الذي لقّب نفســـه " خداش"، ففي مرو عاصمة خراسان وبالتحديد سنة 118 هـــ /736م غرّر خداش بالعديد من الأهالي وخرج في دعوته عن مبادئ تعاليمها الإسلامية متأثراُ بالمعتقدات الفارســـية، فـــألغى العديد من أركان الإسلام وادّعى أن الصلاة هي دعاء للإمام والصوم هو امتنـــاع عـــن ذكـــر

(1) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص82.

(2) المقدسي، مطهر بن طاهر (ت355 هـــ /966م) البدء والتاريخ، ج6، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 2000 ص59.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص616.

اسمه، والحج هو التوجّه إليه، فعلم بذلك والي خراسان أسد بن عبد الله القسري فقضى عليه وعلى أتباعه[1]، فكان اختيار النقباء بسبب ذلك ليكونوا رقباء على الدعاة.

إن طريق الدعوة العباسية لم يكن مفروشاً بالورود، بل إنها واجهت صعوبات كبيرة، أهمها ملاحقة السلطات الأموية في خراسان لنشاط دعاتها، مما اضطرّهم إلى اتّباع عدة أساليب لإخفاء هويتهم منها اتّخاذ صفة التجار المتجولين، فقد أمرهم محمد بن علي بذلك، وكانوا يتخذون الحج مكاناً للالتقاء بمحمد بن علي وتسليمه خمس أموال أنصار الدعوة الذين يقدّمونها للإمام للإنفاق على مستلزمات الدعوة وتوجيه الدعاة وأخذ التعليمات والنصائح، واطلاعه على تطورات الدعوة، وهم في أثناء ذلك يتخذون كل وسيلة ممكنة لإخفاء حقيقتهم[2].

مع مطلع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي نجد أن الخليفة هشام بن عبد الملك كان قد استهان بالدعوة العباسية، فقد اتهم عبد الله بن علي بن العباس بأنه قد كبر واختل فكره، كما أنه تهاون إزاء ابنه محمد بن علي فقد روي أن محمداً طلب منه حاجة فقال له هشام: " انتظر بها دولتكم التي تتوقعونها، تروون فيها الأحاديث وترشّحون لها أحداثكم" [3]، وهذه الروايات هي تمثل موقف الخليفة هشام المتخاذل من الدعوة، وكل ما قام به هشام هو أنه أوعز إلى والي خراسان باعتقال الدعاة العباسيين ونفيهم، وكان يدعوه ألا يرغّب في الدماء ويسكّن الناس جهده، فهذا سعيد بن عبد العزيز بن الحارث الأموي والي خراسان يقبض على بعض الدعاة سنة 102 هـ /720م ثم أخلى سبيلهم عندما ادّعوا أنهم تجار، ومثله فعل الجنيد بن عبد

(1) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص213-214.
(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص333.
(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص84.

الرحمن المري والي خراسان عندما قبض على خمسة من أهم الدعاة العباسيين وعاد وأطلق سراحهم سنة 112 هـ /730م[1].

ويعتبر أسد بن عبد الله القسري الوالي الوحيد الذي تشدّد تجاه الدعاة العباسيين فقتل بعضهم كما حدث سنة 107-108 هـ /725-726م وأيضاً سنة 117 هـ /735م، هذا بالإضافة إلى قتله الداعية العباسي المعروف بخداش الذي مر ذكره سابقاً وبعضاً من أنصاره سنة 118 هـ /736م[2].

ويجب الإشارة إلى أنه تم اختيار الكوفة أولاً ثم لما لم يحصل نجاح تم الانتقال إلى خراسان تلك المدينة البعيدة لعدة أسباب، أهمها توافر العدد الكافي والقوة الكافية في خراسان، وهذا ما أعطاها ميزة عن غيرها من الأقاليم، فقد رزي عن محمد قوله : " لا أرى بلداً إلا وأهله يميلون عنا إلى غيرنا، أما أهل الكوفة فميلهم إلى ولد علي بن أبي طالب، وأما أهل البصرة فعثمانية، وأما أهل الشام فسفيانية مروانية، وأما أهل الجزيرة فخوارج، وأما أهل المدينة فقد غلب عليهم حب أبي بكر وعمر ومنهم من يميل إلى الطالبيين، ولكن أهل خراسان قوم فيهم الكثرة والقوة والجلد وفراغ القلوب من الأهواء، فبعث إلى خراسان ....." [3]، وأيضاً كان موقع خراسان البعيد في أقصى مشرق الدولة الأموية جعل منها مكاناً صالحاً للدعوة العباسية، والمعروف أن الحركات المناهضة للدول تنتقي الأماكن البعيدة عن المركز، ولدينا في التاريخ الإسلامي نماذج عديدة على ذلك فيزيد بن المهلب احتال وتولى خراسان في خلافة

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص335.

(2) الدينوري، الأخبار الطوال، ص334.

(3) البلاذري، أنساب الأشراف، ج3، ص81.

سليمان بن عبد الملك وذلك لأن أموالها وفيرة[1]، وهذا ما ساعده على الدعوة لنفسه في خلافة يزيد[2]، وهذا يحيى بن زيد بن علي ينصح بعد مقتل أبيه بالتوجه إلى خراسان[3].

ويضاف إلى ذلك أن خراسان كان فيها قوة كبيرة من المقاتلين العرب الذين توطنوا منذ زمن الفتح، وهؤلاء كان القاسم المشترك بينهم هو التذمر من سياسة الأمويين المالية، وهذا شجّع الدعاة العباسيين على الانتقال إليهم واستغلال هذا التذمر، ويرجع هذا الشعور تجاه الأمويين إلى أن الأمويين أنشأوا قواعد ثابته للمقاتلين في خراسان فزادت أعداد العرب بتهجير القبائل العربية إليها من البصرة والكوفة[4].

المبحث الثاني: موقف القبائل العربية من الثورة العباسية الجديدة

في البداية لا بد من الإشارة إلى أن خراسان قبيل الدعوة كان فيها فريقان من العرب، العرب المقاتلة المدرجون في ديوان العطاء وذلك لاستمرارية خروجهم للجهاد، والعرب المتوطنون في مناطق مختلفة من خراسان، وهؤلاء فضّلوا الاشتغال بالتجارة وبعض الحرف، وآثروا حياة الاستقرار على أن يخرجوا سنوياً لقتال الأعداء في أقاصي شرق الدولة الإسلامية، وقد أسقط هؤلاء من ديوان العطاء فحصل تذمّر كبير من هذه الحالة، وانضم عدد غير قليل منهم إلى الدعوة العباسية، وقد بدأت بوادر الاستيطان العربي في خراسان في خلافة عثمان بن عفان، عندما فتحت مرو صلحاً، وكان من شروط صلحهم أن يوسع أهل مرو للمسلمين في منازلهم، بمعنى أن يسمحوا لهم بالإقامة معهم، ويعتبر أمير بن أحمد اليشكري

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج3، ص516. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص285.
(2) ابن أعثم، الفتوح، ج8، ص217-218.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص189.
(4) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص207.

والي خراسان من قبل زياد بن أبيه والي البصرة أول من أسكن العرب في مرو، ولم يلبث أن نقل زياد إلى خراسان نحواً من 50،000 عربي بعيالهم من البصرة والكوفة[1].

ولكن السؤال الذي يطرح هنا ما علاقة القبائل العربية العراقية بهذا الموضوع؟ لا بد من القول أن فتوح خراسان وشرق الدولة الإسلامية كان من اختصاص عرب البصرة في صدر الإسلام، إلا إذا احتاجوا إلى مدد وعون فيقبلون نجدة إخوانهم من أهل الكوفة، أو غيرها من الأمصار[2]، وعندما تولى سعيد بن عثمان على خراسان نقل معه قوماً من تميم[3]، ولما توجّه مسلم بن زياد بن أبيه والياً على خراسان في خلافة يزيد بن معاوية، خرج معه كثير من أشراف البصرة وفرسانها[4]، وفي عهد الحجاج بن يوسف الثقفي اختار 700 من قبيلة تميم البقاء في خراسان[5]، وحين استولى قتيبة بن مسلم على بخارى وبلاد ما وراء النهر قسّمها بين العرب والعجم، وأيضاً فإن الجنيد بن عبد الرحمن المري والي خراسان في عهد هشام بن عبد الملك جلب معه إلى خراسان 500 من قبيلته، وهذا هشام بن عبد الملك يرسل مدداً من المقاتلة إلى الجنيد قوامهم 20،000 جندي لتعزيز الجبهة الشرقية وتقويتها، كان نصفهم من البصرة والنصف الآخر من الكوفة، وهناك الكثير ممن رغب في الهجرة إلى خراسان بدافع الجهاد، والالتحاق بالمقاتلة على الحدود الشرقية للدولة الإسلامية[6]، ويذكر ابن سعد أن عدداً من الصحابة كانوا جاهدوا في خراسان وتوفوا فيها، كما أورد أسماء عدد من الفقهاء

---

(1) العلي، صالح، استيطان العرب في خراسان، ص38.
(2) البلاذري، فتوح البلدان، ص390. العلي، صالح، استيطان العرب في خراسان، ص40.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص306.
(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص33.
(5) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص623.
(6) النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت348 هـ /960م) تاريخ بخارى، تحقيق وتعليق أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطارازي، دار المعارف، القاهرة 1965 ص80.

والمحدثين الذين استقروا هناك، هذا بالإضافة إلى الهجرات التي كانت تتسم بطابع فردي شخصي[1].

ويذكر مسكويه في كتابه تجارب الأمم وتعاقب الهمم أن هؤلاء العرب استقرّوا في مرو، واعتادوا على القيام بحملاتهم من هناك، فسميت لذلك "بيضة خراسان" قاصدين من ذلك أنها مركز حمايتها[2]، وعندما كثر عددهم أصبحت مرو لا تتسع لهم، فأقام قسم كبير منهم في القرى المحيطة بها، ويبدو أن القرى كانت تناسبهم أكثر لكونها قريبة من مراعي خيولهم، فيقول ياقوت في ذلك : " رجال مرو من قراها"[3]، وهذا دليل على سكنى العرب في قرى مرو، وبالفعل فهناك حول مرو قرى سكنتها خزاعة ونصر وتميم وطيء والأزد وذهل وكندة وبنو العنبر وبنو عجل وغيرها من قبائل العرب، وسكنت أيضاً قبائل أخرى في مدن خراسانية مثل مرو الروذ ونيسابور وشرات والطالقان وبلخ وسرخس ونسا وغيرها من المدن، وقد أقامت الدولة الأموية قواعد ثابتة للمقاتلين العرب في خراسان بالإضافة إلى حاميات عسكرية في المواضع الاستراتيجية الحساسة مما ساعد العرب على الاستقرار في مناطق متعددة من خراسان والمشرق والإسلامي[4].

ولأن العنصر العربي كان هو المؤثر والفعال في الدولة الأموية بما فيها خراسان، فإن من الطبيعي أن يركّز دعاة العباسيين على هذا العنصر في خراسان لاستمالته في تأييد الدعوة العباسية، ومن الطبيعي أن تأخذ الدعوة في اعتبارها بالدرجة الأولى الفئات المتذمرة من الحكم الأموي، ومن ضمنها القبائل اليمانية وقبائل ربيعة، وأن يحذّر دعاتها القبائل المضرية المؤيدة

---

(1) ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230 هـ /845م) الطبقات الكبرى، ط1، ج4، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 ص4-183-224، ج5، ص34-222.

(2) مسكويه، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، ج3، ص77.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص115.

(4) العلي، صالح، استيطان العرب في خراسان، ص40-41-65-67-68-75.

حينها للحكم الأموي، لاعتماد معظم حلفائهم في أواخر العصر الأموي على المضرية وإكرامهم وتقريبهم لها، على أن ذلك لم يجعل الدعاة العباسيين يحجمون عن الترحيب بمن رغب من مضر في الانضمام إلى الدعوة العباسية، وخاصة المتوطنين منهم في خراسان، وعندما أرسل الإمام العباسي محمد بن علي أحد دعاته المعروفين إلى خراسان وهو زياد بن درهم أبا عكرمة أوصاه بقوله : " وإذا قدمت مرو فاحلل في أهل اليمن، وتألّف ربيعة، وتوقّ مضر، وخذ بنصيبك من ثقاتهم، واستكثر من الأعاجم، فإنّهم أهل دعوتنا ..." [1]، وهذا أبو مسلم الخراساني الذي أرسله إبراهيم بن محمد بن علي إلى خراسان يقول: " أمرني الإمام أن أنزل في أهل اليمن وأتألّف ربيعة، ولا أدع نصيبي من صالحي مضر وأحذر أكثرهم من أتباع بني أميّة، وأجمع إليّ العجم واختصّهم، وإنّما الأعمال بخواتيمها..." [2]، وهذا يدل دلالة واضحة على أن منظّمي الدعوة العباسية ودعاتها أدركوا أن العرب كانوا يشكّلون ثقلاً قوياً في خراسان فسعو بهك طاقتهم إلى كسبهم إلى جانب الدعوة.

إن أكثرية نقباء الدعوة الاثني عشر كانوا من قبائل عربية خالصة، فقد كان أربعة منهم من تميم، وأربعة آخرون من خزاعة، وواحد من طيء، وواحد من شيبان، وواحد من بجيلة، أم الأخير فهو من موالي بني حنيفة[3]، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم : " مولى القوم منهم، وابن أختهم منهم، وحليفهم منهم "[4]، وكذلك يمكن اعتبار أكثرية نظراء النقباء والدعاة

---

(1) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص204.

(2) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص285.

(3) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص216-217.

(4) ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241 هـ /855م) مسند الإمام أحمد بن حنبل، ط1، ج31، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت 2001 ص326.

السبعين ودعاة الدعاة كانوا عرباً من أهلي مرو، أي أنهم من العرب المستوطنين الأوائل في مرو ونواحيها من القرى[1].

إن الصراع القبلي بين المضرية واليمانية والذي تحول إلى فتنة بعد أن طال أمده، دفع العرب إلى البحث عن خلاص من هذه الفتنة، فتحركت الدعوة العباسية، فالداعية العباسي اليمني يدعو أهل اليمن إلى طاعته، وكذلك الداعية المضري يدعو بني قومه إلى ذات الأمر، حتى كثر من استجاب لهم من العرب، وبذلك توقفوا عن القتال بالعصبية، وهو تعبير واضح عن كثرة العرب الذين انضموا إلى الدعوة العباسية[2].

إن معظم الذين استجابوا للدعوة العباسية في أول عهدها بخراسان جماعة من العرب، منهم قيس بن السري المسلي وسليمان بن كثير الخزاعي، وعدد من خزاعة، بالإضافة إلى خالد بن إبراهيم الذهلي ورجل من تميم[3]، ويلاحظ أن أغلبية هؤلاء كانوا من اليمانية، بما يتماشى مع تركيز الدعاة على اليمانية المعادين للدولة الأموية، لأنها أبعدتهم وقرّبت المضرية، ثم ازدادت أعداد اليمانية المناصرين للدعوة العباسية بشكل ملحوظ، حتى أن أبو جعفر المنصور وهو الذي أصبح ثاني الخلفاء العباسيين كان يقول: " ثم قام مروان بن محمد فحمل قيساً على رقاب الناس، وأقصى أهل اليمن، فجاشوا عليه من كل ناحية وانضمت يمن إلى دعوة بني العباس، فيحق لنا أن نعرف لهم حق نصرهم لنا، وقيامهم بدعوتنا ونهوضهم لدولتنا"[4].

---

(1) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص219-223.

(2) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص245.

(3) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص202.

(4) الأزدي، تاريخ الموصل. ص220-221.

وقد انضمت ربيعة إلى الدعوة العباسية بحكم تحالفها مع اليمانية في الفترة الجاهلية التي سبقت الإسلام، ومعاناة الجانبين وبعض العرب الآخرين من الوضع الاقتصادي والمالي في خراسان، وعندما ثارت دمشق على بني العباس سنة 133 هـ /751م حاصرها القائد العباسي عبد الله بن علي وقال لمن فيها من القبائل اليمانية وقبائل ربيعة : " إنكم وإخوتكم من ربيعة كنتم بخراسان شيعتنا وأنصارنا، وأنتم منا وبكم قوام أمرنا، فانصرفوا وخلّوا بيننا وبين مضر، فانفسخ القوم عن حربه، ورحلت مضر عن دمشق، واستردها عبد الله بن علي العباسي[1]، وهذا لا ينفي أن القبائل المضرية اشتركت في الدعوة العباسية، فربيعة كان منهم نقباء أربعة، وكان آخرون منهم بين نظراء النقباء، والدعاة السبعين ودعاة الدعاة ومؤيدي الدعاة، إلا أن أعدادهم كانت أقل اليمانية والربعية بطبيعة الحال، ويعتبر خازم بن خزيمة التميمي من أشهر من شارك في الدعوة ومن أكفأ قادات الدعوة العباسية على الإطلاق[2].

ولدينا رواية تذكر أن حفص بن سليمان المعروف بأبي سلمة الخلال رئيس الدعوة في الكوفة توجّه إلى خراسان في ولاية نصر بن سيار آخر ولاة بني أمية في خراسان، وسلّمه ثلاث رايات سود، وطلب منه أن يسلّمها إلى ثلاثة من العرب هم عبد الملك بن يزيد الأزدي في جرجان، والثانية لسليمان بن كثير الخزاعي في مرو، والثالثة لمجاشع بن حريث الأنصاري، وقيل عمرو بن سنان المرادي في ما وراء النهر[3]، وفي هذا إشارة كبيرة على دور القبائل العربية في الدعوة العباسية وإخراجها دولة إلى حيز الوجود، ومن أهم الشخصيات العربية القبلية التي أدت دوراً مميزاً نذكر قحطبة بن شبيب الطائي، وولديه حميد

---

(1) الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت334 هـ /946م) تاريخ الموصل، تحقيق علي حبيبة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، القاهرة 1967 ص144.

(2) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص320. ابن الأثير، البداية والنهاية، ج10، ص34.

(3) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص247-248.

وحسن، وخازم بن خزيمة التميمي، وعبد الملك بن يزيد الأزدي، ومقاتل بن حكيم، وجهور بن مرار العجلي، والفضل بن سليمان التميمي، وعبد الله بن النعمان الطائي، وأسيد بن عبد الله الخزاعي، ومحقن بن غزوان العبدي، وبطبيعة الحال هذا بالإضافة إلى قادة من العباسيين أنفسهم، مثل عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس، وشقيقه صالح[1]، ولا شك في أن لهؤلاء القادة أكبر الأثر في انتصار جيش الدعوة العباسية على الجيش الأموي.

وكان جميع الدعاة العباسيين الذين أرسلوا إلى مدينتي نسا وأبيورد بخراسان عرب، وعددهم ثلاثة عشر داعياً، كما أرسل دعاة آخرون إلى بلخ ومرو الروذ وآمل الشط وخوارزم وغيرها من المناطق معظمهم من العرب[2]، وعندما قال أبو مسلم الخراساني لرسل نصر بن سيار أنه أمر أن ينزل في اليمن ويتألف ربيعة وصالحي مضر وأن يدعو العجم أيضاً انتشر قوله وأخذ الناس يتحدّثون به[3]، فسارعت الأعاجم وكثير من أهل اليمن وربيعة إلى الدعوة، وأتاه عدّة من ذوي البصائر من مضر، وليس أدل على أهمية قبائل اليمن وربيعة في تأييد الدعوة العباسية من قول عقيل بن معقل أحد أنصار نصر بن سيار فقال: " إن فعلتم ذلك خالفتكم أحياء اليمن ورأوا أنكم تريدون هضمهم وإذلالهم بدخولكم عليهم في منازلهم، ولا آمن أن يدعوهم ذلك إلى أن يدخلوا فيما دخل فيه القوم، ويسوّدوا كما سوّدوا، ولكني أرى أن تناظرهم وتبعث إليهم، فإن سهّلوا لكم الإقدام عليهم أقدمتم عليهم، وإن منعوكم عملتم على قدر ذلك، وما أهون شوكة هؤلاء إن كفّت عنهم اليمن وربيعة[4].

---

(1) الدينوري، الأخبار الطوال، ص361. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص362. المقدسي، البدء والتاريخ، ج6، ص85.

(2) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص218-219.

(3) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص285.

(4) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص275.

وعلى ذمة ابن قتيبة صاحب كتاب الإمامة والسياسة أن قحطبة بن شبيب الطائي ذلك القائد العباسي كان يقود الجيش العباسي المتجه من مرو غرباً لإحكام السيطرة على المواقع الأموية[1]، وأيضاً فإن جيش الدعوة العباسية الذي دخل مرو سنة 130 هـ /747م كان يضم العديد من الأفراد اليمانية والربعية بالإضافة إلى العجم، وكان بعض من شيوخ وسادات اليمانية والربعية والمضرية قد انسحبوا من جيش نصر بن سيار وانضموا لجيش الدعوة العباسية[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن مصطلح الخراسانية الذي نجده كثيراً في أدبيات الدعوة العباسية لا يقصد به أهل خراسان الخلّص، فهناك الكثير من عرب خراسان من القرى والمدن إلى جانب السكان المحليين من الموالي والعجم وهذا ما سنتطرق له في المبحث اللاحق، وقد حاولت الدولة العباسية أن تحتفظ بأهل خراسان أياً كانت قبائلهم أو مناطقهم ككتلة واحدة، أو فرقة واحدة متميزة في الجيش العباسي عن غيرها من الفرق، ومع ذلك فإن دور العرب كان أكثر بكثير من دور العناصر الأخرى التي شاركت في الدعوة العباسية[3].

إن تسمية خراسان لا يُظن أنها كانت تعني إيران الحالية، بل إنها أطلقت على البلاد الواسعة التي أول حدودها مما يلي العراق وآخر حدودها مما يلي الهند، وامتدت إلى بلاد ما وراء النهر، إلى خوارزم في قلب آسيا، حيث كان يجمعها جميعاً اسم خراسان، وخراسان في بداية أمرها كانت تابعةً إدارياً لمصر البصرة[4]، ولكنها سرعان ما أصبحت مصراً مستقلاً بذاته، وزادت أهميتها بحيث أصبح من يتولاها يحظى بأهمية كبرى، مثل آل المهلب الذين

(1) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج2، ص117.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص384.
(3) ابن المقفع، رسالة الصحابة، ص315.
(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص350.

تولوها أجيالاً، وكان آخر من تولاها نصر بن سيار سنة 120ه/738م، الذي وصف للخليفة هشام بن عبد الملك بأنه" رجل عفيف مجرب عاقل"[1]، بل إن خراسان أصبحت مركز ثقل في الخلافة الأموية، فكل حادثة تحدث في بلاد الشام والعراق تنعكس آثارها على خراسان.

المبحث الثالث: موقف الموالي من الثورة العباسية الجديدة

في البداية لا بد من طرح التساؤل التالي، ما علاقة الموالي بالعلويين؟ والتي تطورت لاحقاً لمناصرة العباسيين في دعوتهم التي أطاحت بالدولة الأموية؟، لقد انطوت الحركات العلوية على الكثير من الموالي تحت لوائها، وقد كانوا آنذاك يشكّلون معظم الكثافة السكانية بها، إذا ما قيسوا بالقبائل العربية التي نزلت واستقرت بها بعد حركة الفتوح الإسلامية، وقد أشارت بعض الروايات التاريخية إلى أن جيش المختار الثقفي كان أكثره من الموالي[2]، فكانت هذه الحركة هي بداية الارتباط والتلاحم بين العلويين والموالي، ذلك أن النظرية الشيعية فيما يتعلق بالإمامة والتي تبلورت في حركة التوابين كانت أكثر الأفكار ملاءمةً لعقولهم، وأشدّها انسجاماً مع طبيعة تكوينهم التاريخي، فالفارسي يفهم جيداً الحق الإلهي للملوك، وكان يعترف بهذا الحق للأكاسرة، وعليه فإن هذا الفارسي لم يكن يستطيع أن يتصور وجود خليفة بالانتخاب، فهذه الفكرة غير مقبولة عندهم، وإنما المبدأ الذي يمكن أن يفهمه جيداً هو مبدأ الوراثة، وكل الذي كان في حاجة إليه وقد تغيّرت بيئته، واعتنق ديناً جديداً هو أن ينقل ولاءه، ويحوّل وجهة شعوره من أفراد أسرة مقدسة إلى أخرى، فليس من المبالغة في شيء أن يقال: أن البيت النبوي وقد مثّله آل علي قد حلّ في قلوب هؤلاء الفرس محل أسرة الساسانيين، مع الأخذ بالاعتبار اختلاف الدوافع ونوع العاطفة تجاه كل من البيتين[3].

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص252.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص115.

(3) الريس، محمد ضياء الدين، النظريات السياسية الإسلامية، ط2، دار الأضواء، بيروت، 1984 ص56-57.

ثم إن البيت العلوي ارتبط برباط المصاهرة مع البيت الساساني، وذلك بزواج الحسين بن علي بن أبي طالب من شهربانويه ابنة يزدجرد آخر ملوك الساسانيين، فجاء الإمام الرابع من أئمة الشيعة الاثنا عشرية وهو زين العابدين بن الحسين حفيداً لكلا البيتين، وأصبح الأئمة من نسله من وجهة نظر الموالي لا يمثّلون حق النبوة فقط، بل يمثّلون حق الملك، وفي هذا يقول أبو الأسود الدؤلي وهو من الشيعة :

وإن وليداً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت به التمائم

هو النور نور الله موضع سره ومنبع ينبوع الإمامة عالم[1]

وإن استمرار نزول المصائب على والمحن على البيت العلوي طوال عهد الأمويين كان من الطبيعي أن يزيد انعطاف الناس نحوهم، وبشكل خاص الموالي[2].

يمكن تعريف الموالي في خراسان بأنهم مسلمون من سكان البلاد الأصليين، وارتبطوا كذلك ببعض قبائل العرب في خراسان، وهذا لا يعني أن كل من دخل الإسلام من أهل خراسان المحليين كان مولى، وكان الموالي يشاركون في الكثير من النزاعات السياسية التي شهدتها، فقد انضم الموالي في الكوفة إلى حركة المختار بن عبيد الثقفي ضد ابن الزبير والأمويين في خلافة عبد الملك بن مروان[3]، وانضمت أعداد من الموالي إلى جموع كبيرة من العرب الذين فتحوا جرجان ودهستان شرق بحر قزوين بقيادة يزيد بن المهلب والي خراسان في عهد سليمان بن عبد الملك[4]، وانضم الموالي أيضاً إلى حركة الحارث بن سريج

(1) صبحي، أحمد محمود، نظرية الإمامة عند الشيعة الاثنى عشرية، ص355-356.

(2) للمزيد عن مصائب ومحن آل البيت انظر الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة ، بيروت 1995.

(3) الدينوري، الأخبار الطوال، ص288.

(4) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص350-359.

المرجئي في المشرق ضد الأمويين سنة 116 هـ /734م[1]، وانضم الأعاجم أيضاً إلى العرب في طخارستان وما وراء النهر ضد الدعوة العباسية، وكانت أعداد من الموالي في جيش والي خراسان ذلك العام، وأخرى مقابلة مع الوالي الأموي نصر بن سيار وقاتلوا معه جيش الدعوة العباسية[2].

لا شك بأن الموالي كانوا يشعرون بانخفاض مستواه الاجتماعي والاقتصادي في ظل الدولة الأموية، إضافةً إلى إحساسهم بوقوع ألوان من الاضطهاد والحرمان وقعت عليهم[3]، فارتبطت أحلامهم وأمانيهم بالإصلاح بوصول آل بيت النبي إلى الخلافة، فهم أجدر الناس بأن يملؤوا الأرض عدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وعليه فإن الموالي انضموا إلى الدعوة بدافع ولائهم لأنصارها العرب، ودفاعاً عن المصالح المشتركة بينهما، ولطلب الرزق في بعض الأحيان[4].

إن مشاركة الموالي في الدعوة العباسية كانت واضحة بينة، فمن بين النقباء الاثني عشر الذين كانوا في مرو كان واحد منهم من الموالي، وعدد آخر من الموالي من بين نظراء النقباء ودعاة الدعاة والدعاة السبعين، ولم ينكر أصحاب الدعوة أنهم يدعون كلا الطرفين العرب والموالي إلى الدعوة العباسية فيقول أحدهم:

لسنا نحابي على الرحمن من أحد فيما نطالب من مولى ومن عرب

ودیننا ضربكم حتى نقيمكم على الطريق ولو جثوا على الركب

هلّا صبرت ابن سيّار لوقعتنا إن كنت ذا حسب في القوم أو نسب[5]

ولا ضير من تكرار ما قاله الإمام العباسي محمد بن علي لأحد دعاته المعروفين إلى خراسان وهو زياد بن درهم أبا عكرمة أوصاه بقوله : " وإذا قدمت مرو فاحلل في أهل

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص96.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص389.
(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص316.
(4) الدوري، العصر العباسي الأول، ص10-13.
(5) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص314.

اليمن، وتألّف ربيعة، وتوقّ مضر، وخذ بنصيبك من ثقاتهم، واستكثر من الأعاجم، فإنّهم أهل دعوتنا ..." [1]، وعندما سمع الأعاجم بهذا الخبر سارعوا إلى الدخول في الدعوة العباسية، ولما دخل جيش الدعوة العباسية مدينة مرو كانت تضم جنداً من اليمانية وربيعة والعجم[2].

ويذكر ابن الطقطقي في كتابه الفخري في الآداب السلطانية أن إبراهيم الإمام أرسل جماعة من الدعاة إلى خراسان، وكان سادتها العرب ودهاقينها العجم، وانضمت مجموعة من الارستقراطية الفارسية للدعوة، وهناك مجموعة كان اسمها الازادمردية بمعنى نبلاء العجم وأشرافهم كانت قد اشتركت في جيش الدعوة، ومن بينهم خالد بن برمك الذي كان من خواص الدعوة وأبرز القادة المتقدّمين غرباً ضد الدولة الأموية، وهو والد جعفر ويحيى الذين سيصبح لهم شأناً ذات يوم في عهد الخليفة العباسي هارون الرشيد[3].

وحينما هزم الجيش العباسي جيش يزيد بن عمر بن هبيرة الأموي قرب نهر الفرات، صمد في القتال رجلان من أهل الشام، فقال بعض جنود الدعوة العباسية –ويبدو أنهم كانوا عجماً– بما معناه : دعوا هؤلاء الكلاب، فانصرفت القوات العباسية عنهم، وعندما دخل الجيش العباسي في مدينة الكوفة وقف فيهم أبو سلمة الخلّال في اليوم التالي وأشاد بجهودهم في نصرة الدعوة، فرد عليه بعض العجم المسلمين من الجيش العباسي باللغة الفارسية، وذكروا طاعتهم واجتهادهم في مقاومة عدوهم، وكانت قوات عبد الله بن علي العباسي التي سيطرت على بلاد الشام والجزيرة الفراتية تضم في جنباتها بضع ألوف من المسلمين العجم، وكذلك الجيش العباسي الذي توجّه للقضاء على ثورة محمد بن عبد الله بن علي الحسني العلوي ضد العباسيين سنة 145 هـ /762م، وكان يضم أعاجماً إلى جانب أغلبية الجيش العربية، وكذلك الجيش العباسي الذي قضى على ثورة سنباذ في خراسان سنة 137 هـ /754م وكان يضم كذلك عرباً وعجماً[4].

---

(1) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص204.

(2) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص275. الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج6، ص384.

(3) مجهول، أخبار الدولة العباسية، ص343.

(4) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص59. الدوري، العصر العباسي الأول، ص10.

الخاتمة

يمكننا أن نعتبر أن الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك الذي قيل عنه أنه "حسن السياسة، يقظاً في أمره، يباشر الأعمال بنفسه " أنه آخر حلقات الخلفاء الأمويين الأقوياء، إذ تولى الحكم من بعده خلفاء عرفوا بالضعف وكانت الأحوال السياسية تسير نحو السقوط، ومع مطلع القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ظل العراق كسابق عهد يشكّل أهم المناطق التابعة للدولة الأموية، فمن الناحية الاقتصادية ظل العراق رافداً اقتصادياً مهماً لخزينة الدولة، وقد ساهمت جميع فئات المجتمع العراقي من عرب وأهل ذمة وموالي في جميع النشاطات، وكان لخبرتهم في ميدان الزراعة والحرف أكبر الأثر في تنشيط الحركة التجارية، وبقي العراق كعادته منذ أقدم العصور التاريخية يتميّز بتعدّديّته وتنوّعه وكثرة أعراقه ومذاهبه، وكانت هذه حاله في العهد الأموي، ولكن من الناحية السياسية كان القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي هو العصر المميز عند العراقيين، فقد زادت الثورات العلوية والخارجية والثورات ذات الطموح الشخصي، وفيه أيضاً سقطت دولة الأمويين، قامت دولة بني العباس واتخذت العراق موطناً لها، وغدت من أعظم الدول التي غيّرت في مجرى التاريخ.

قائمة المصادر

1. **القرآن الكريم.**

2. ابن الأثير، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد (ت630 هـ /1233م) **الكامل في التاريخ**، ط1، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1997.

3. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الشيباني الجزري (ت606 هـ /1210م) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ط1، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت 1979 .

4. ابن أعثم، أحمد بن محمد بن علي (ت314 هـ /926م) **الفتوح**، ط1، تحقيق علي شيري، دار الأضواء، بيروت 1991 .

5. الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) **الأغاني**، مكتبة إحياء التراث العربي، بيروت 1994 .

6. الأصبهاني، علي بن الحسين بن محمد (ت356 هـ /967م) **مقاتل الطالبيين**، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة، بيروت 1995.

7. الأزدي، يزيد بن محمد بن إياس (ت334 هـ /946م) **تاريخ الموصل**، تحقيق علي حبيبة، دار إحياء التراث، القاهرة 1967 .

8. الآلوسي، محمود شكري بن عبد الله (ت1342 هـ /1924م) **بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب**، تحقيق محمد بهجة الأثري، ط2، دار الكتب الحديثة، المكتبة الأهلية، القاهرة 1923 .

9. ابن بحشل، أسلم بن سهل بن أسلم (ت292 هـ /905م) **تاريخ واسط**، ط1، تحقيق: كوركيس عواد، عالم الكتب، بيروت 1986 .

10. البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفي (ت256 هـ /870م) **صحيح البخاري**، رتب كتبه وأبوابه وفقاً للمعجم المفهرس محمد نزار تميم وهيثم نزار تميم، دار ابن أبي الأرقم للطباعة، بيروت 1995.

11. البعلي، بدر الدين أبي عبد الله محمد بن علي الحنبلي، **كتاب الفتاوى**، راجعه وحقق نصوصه عبد المجيد سليم، ط1، دار الجيل، بيروت 1949 .

12. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت279 هـ /892م) **أنساب الأشراف**، ط1، تحقيق سهيل زكار ورياض الزركلي، دار الفكر، بيروت 1996 .

13. =====، **فتوح البلدان**، دار ومكتبة الهلال، بيروت 1988 .

14. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي (ت485 هـ /1066م) **السنن الكبرى**، ط3، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 2003.

15. الجاحظ، عمرو بن بحر(ت255 هـ/869م) **الرسائل السياسية**، ط1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1991 .

16. =====، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت 2003 .

17. ابن جعفر، قدامة (ت329 هـ /940م) **الخراج وصناعة الكتابة**، تحقيق محمد حسين الزبيدي، دار الرشيد، العراق 1981 .

18. الجهشياري، محمد بن عبدوس بن عبد الله (ت331 هـ /943م) **الوزراء والكتاب**، .

19. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ـت597 هـ /1201م) س**يرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد**، دار الإسراء، عمان 2004.

20. =====، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم** تحقيق محمد عبد القادر ومصطفى عبد القادر، ط1، دار الكتب بيروت، لبنان 1992 .

21. الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت626 هـ /1229م) **معجم البلدان**، دار إحياء التراث العربي، بيروت 1979 .

22. ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد (ت241 هـ /855م) م**سند الإمام أحمد بن حنبل**، ط1، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الرياض 2001 .

23. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(ت808 هـ /1405م) **العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون**، ط1، ج1، دار الفكر، بيروت، 1988 .

24. ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت280 هـ /893م) **المسالك والممالك**، دار صادر أفست ليدن، بيروت 1889 .

25. ابن خياط، أبو عمر خليفة العصفري (ت240 هـ /854م) ت**اريخ خليفة بن خياط**، ط2، تحقيق أكرم ضياء العمري، مؤسسة الرسالة، دمشق 1977 .

26. الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت281 هـ /894م) **الأخبار الطوال**، ط1، تحقيق عبد المنعم عامر مراجعة: الدكتور جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي، القاهرة 1960.

27. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت748 هـ /1347م) ت**اريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعيان** ، ط2 ، تحقيق عمر تدمري دار الكتاب العربي ، بيروت 1993.

28. الرزاي، منصور بن الحسين (ت421 هـ /1030م) **نثر الدر في المحاضرات**، ط1، تحقيق خالد عبد الغني محفوط، دار الكتب العلمية، بيروت 2004 .

29. ابن رسته، أحمد بن عمر (ت300 هـ /912م) **الأعلاق النفيسة**، د.ن. ليدن، هولندا 1967 .

30. ابن زكريا، أحمد بن فارس (ت395 هـ /1004م) **معجم مقاييس اللغة**، ط1، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت 1991.

31. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (ت538 هـ /1143م) ط1، **ربيع الأبرار ونصوص الأخيار**، مؤسسة الأعلمي، بيروت 1992

32. السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث (ت274 هـ /887م) **سنن أبي داود**، ط1، تحقيق عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت 1996.

33. ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت230 هـ /845م) **الطبقات الكبرى**، ط1، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت 1990 .

34. ابن سلّام، أبو عبيد القاسم (ت224 هـ /828م) **الأموال**، ط1، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت 1981.

35. ابن سيده، علي بن إسماعيل (ت458هـ/1065م) **المحكم والمحيط الأعظم**، ط1، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت 2000 .

36. الشابشتي، أبو الحسن علي بن محمد (ت388 هـ /998م) **الديارات**، ط3، تحقيق كوركيس عواد، دار الرائد العربي، بيروت 1986 .

37. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ /922م)، **تاريخ الرسل والملوك**، ط2، دار التراث، بيروت 1977 .

38. ابن الطقطقي، محمد بن علي بن محمد بن طباطبا (ت709 هـ /1309م) **الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية**، ط1، تحقيق عبد القادر محمد مايو، دار القلم العربي، بيروت 1997 .

39. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد بن عبد ربه (ت328 هـ /940م) **العقد الفريد**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت 1984.

40. ابن العبري، يوحنا بن هارون بن توما الملطي (ت685 هـ /1286م) **تاريخ مختصر الدول**، ط3، تحقيق أنطون صالحاني اليسوعي، دار الشرق، بيروت 1992.

41. ابو عبيد، القاسم بن سلام (ت224 هـ /839م) **الأموال**، ط1، تحقيق خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت 1990

42. العسقلاني، أحمد بن علي بن محمد (ت852 هـ /1448م) **لسان الميزان**، ط2، تحقيق دائرة المعرف النظامية (الهند)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، 1971 .

43. =====، **بلوغ المرام من أدلة الأحكام**، إدارة البحوث الإسلامية بالجامعة السلفية، ريوري شالاب وارانسي، الهند، 1982.

44. الفارابي، إسحاق بن إبراهيم بن الحسين (ت350 هـ /961م) **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة 2003 .

45. ابن قتيبة، أحمد بن عبد الله بن مسلم (ت322 هـ /934م)**الإمامة والسياسة**، تحقيق ثروت عكاشة، دار المعارف، مصر 1969 .

46. =====، المعارف، ط2، **تحقيق ثروت عكاشة الهيئة المصرية العامة للكتاب**، القاهرة، 1992

47. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276 هـ /889م) **عيون الأخبار**، ، دار الكتب العلمية، بيروت 1998.

48. القرشي، يحيى بن آدم (ت203 هـ /818م) **كتاب الخراج**، مطبعة بريل، ليدن 1895

49. القزويني، زكريا بن محمد محمود(ت 682هـ/1283م) **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت د. ت.

50. القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد (ت821 هـ /1418م) ن**هاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، ط2، تحقيق إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبنانين، بيروت 1980 .

51. ابن قيّم الجوزية، محمد بن أبي بكر (ت751 هـ /1351م) **أحكام أهل الذمة**، تحقيق يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العارودي، دار ابن حزم 1997 .

52. الكتبي، محمد بن شاكر (764 هـ /1362م) **فوات الوفيات**، ط1، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1974 .

53. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر (ت774 هـ /1374م) **البداية والنهاية**، ط1، تحقيق علي شيري دار إحياء، التراث العربي، 1988 .

54. الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب (ت355هـ/966م) **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، ط1، تحقيق محمد حسن محمد حسن إسماعيل، وأحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت 2003 .

55. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري (ت450 هـ /1058م) **الأحكام السلطانية**، دار الكتب العلمية، بيروت 1985.

56. المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر (ت286 هـ /899م) **الكامل في اللغة والأدب**، ط3، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة 1997 .

57. مجهول، **تاريخ الخلفاء**، تقديم بطرس غريازيتونج، دار التقدم، موسكو 1967 .

58. مجهول، (المتوفى: ق 3هـ/9م) أخبار الدولة العباسية، تحقيق عبد العزيز الدوري، عبد الجبار المطلبي، دار الطليعة، بيروت 1990 .

59. المقدسي، مطهر بن طاهر (ت355 هـ /966م) **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد 2000.

60. المقدسي، محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت380 هـ /990م) **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة 1991 .

61. المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت 1988 .

62. مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب (ت421 هـ /1030م) **تجارب الأمم وتعاقب الهمم**، ط2، تحقيق أبو القاسم إمامي، سروش، طهران 2000

63. المسعودي، علي بن الحسين (ت346 هـ /957م) **التنبيه والإشراف**، تصحيح عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي، القاهرة (د.ت) .

64. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711 هـ /1311م) م**ختصر تاريخ دمشق لابن عساكر**، ط1، تحقيق روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع، دار الفكر، دمشق 1984 .

65. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي (ت711 هـ /1311م) **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت 1994 .

66. النرشخي، أبو بكر محمد بن جعفر (ت348 هـ /960م) **تاريخ بخارى**، تحقيق وتعليق أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله مبشر الطارازي، دار المعارف، القاهرة 1965.

67. ابن هشام، أبو محمد عبد الملك المعافري (ت213 هـ /828م) **السيرة النبوية**، قدم لها وعلّق عليها عبد الرؤوف طه، دار الجيل، بيروت (د . ت) .

68. أبو يعلى الفراء، محمد بن الحسين بن محمد (ت458 هـ /1066م) **الأحكام السلطانية**، ط2، صححه وعلق عليه : محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت 1966 .

69. اليعقوبي، أحمد بن اسحق(ت292 هـ /905م) **تاريخ اليعقوبي**، دار صادر، بيروت 1970 .

70. أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت182 هـ /798م) **الخراج**، دار المعرفة، بيروت 1979 .

قائمة المراجع

71. الأعظمي، عواد، **الزراعة والإصلاح الزراعي في عصر صدر الإسلام**، مطبعة الجامعة، بغداد 1978.

72. أمين، أحمد، **فجر** الإسلام، بيروت 1969 .

73. الباشا، حسن، **دراسات في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار النهضة العربية، القاهرة 1988.

74. الحوراني، جورج فضلو، العرب **والملاحة في المحيط الهندي**، دار الكتاب، القاهرة 1949.

75. الدوري، عبد العزيز، **مقدمة في تاريخ صدر الإسلام**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1961.

76. =====، **مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي**، بيروت 1968 .

77. دوزي، رينهارت، **نظرات في تاريخ الإسلام**، ط1، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1933 .

78. الريس، محمد ضياء الدين، **النظريات السياسية الإسلامية**، ط2، دار الأضواء، بيروت، 1984 .

79. الزبيدي، محمد حسين، **الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري**، المطبعة العالمية، القاهرة 1970 .

80. أبو زهرة، محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية**، ج1، دار الفكر العربي، القاهرة 1990.

81. زيدان، أحمد، **الدعوة الإسلامية**، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية، 1985 .

82. سيدلو، **تاريخ العرب العام**، ترجمة عادل زعيتر، مطبعة الحلبي، القاهرة 1948 .

83. سيد قطب، **في ظلال القرآن الكريم**، دار الشروق، القاهرة 1992 .

84. الشيخلي، صباح إبراهيم، **الأصناف في العصر العباسي نشأتها وتطورها**، ط1، دار الحرية، بغداد 1976 .

85. صبحي، أحمد محمود، **نظرية الإمامة عند الشيعة الاثنى عشرية**، "تحليل فلسفي للعقيدة "، دار المعارف، القاهرة 1969.

86. ضيف، شوقي، **التطور والتجديد في الشعر الأموي**، دار المعارف، القاهرة 1970.

87. طقوش، محمد سهيل، **تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية**، ط1، دار النفائس، بيروت 2002.

88. العلي، صالح، **امتداد العرب في صدر الإسلام**، المجمع العلمي العراقي، بغداد 1981.

89. =====، التنظيمات الاجتماعية في البصرة في القرن الأول الهجري، ط2، دار الطليعة، بيروت 1962.

90. =====، صالح، **خطط البصرة ومنطقتها**، مطبعة المجمع العلمي، بغداد 1986 .

91. عودات، أحمد عبد الله، **الحياة الاقتصادية في العراق في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك**، مجلة المؤرخ العربي، ع34، 1988 .

92. فروخ، عمر، **تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية**، دار العلم للملايين، بيروت 1970

93. فلوتن، فان، **السيادة العربية والشيعة والاسرائيليات في عهد بني أمية**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1965 .

94. فلهاوزن، يوليوس، **تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية**، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005 .

95. فيصل، شكري، **المجتمعات الإسلامية**، دار العلم للملايين، بيروت 1974.

96. القرضاوي، يوسف، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، ط1، مكتبة وهبه، القاهرة 1977.

97. قلعجي، محمد رواس، **موسوعة عمر بن الخطاب**، دار النفائس، بيروت 1998 .

98. الكبيسي، حمدان عبد المجيد وآخرون، **المدينة والحياة المدنية**، ج2، دار الحرية، بغداد 1988 .

99. لبيد، إبراهيم أحمد وآخرون، **الدولة العربية في العصر الأموي**، بغداد 1962 .

100. لوبون، غوستاف، **حضارة العرب، نقله للعربية عادل زعيتر**، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة 1969.

101. ماسينيون، لويس، **خطط الكوفة وشرح خريطتها**، د.ن، صيدا لبنان 1946 .

102. مصطفى، إبراهيم، وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج1، دار الدعوة، اسطنبول 1989.

103. المعاضيدي، عبد القادر، **واسط في العصر الأموي**، ط1، دار الحرية، بغداد، 1976

104. الميداني، عبد الرحمن، البلاغة العربية، ط1، ج1، دار القلم، دمشق 1996 .

105. ناجي، عبد الجبار، دراسات في تاريخ المدن العربية الإسلامية، ط1، بيروت 2001 .

Abstract

During the Umayyad era Iraq considers that it blacked its rights، in comparing with Bilad alsham which took all rights، were we found that all revolutions emerged in Iraq.

Since the Muslim open Iraq، and were the construction planning of the cities of ALqufa and ALbasra، Iraq tool the front side of the Levant، a big number of the Arabian tribes spread in the region leading to a big role in introducing of the Islamic religion، as well as in the spread as introducing of the Arabic language، were the Islamic Arab rulers had a great role in the construction of country and were there was a development in the economy، this resulted in the end of culture and the Persian religion to the interest of Islamic culture.

In the early of the second century it was a time of the coming of weak rulers in comparing with the previous rulers، were there was an increased in revolutions and tribal fanatic، in the west and east of country، in addition to the Qaise and Yamane conflict، all of these things had a role to weaken the Umayyad country and destroying، and depending of that، this study comes to describes the economic، political، social life in Iraq in the second century، and the effect of this situation on the destroying of the Umayyad country.